قصص بوليسية للأولاد

لغز الجزيرة الملعونة

بقلم: عبد الرحمن حمدى

سلسلة دورية تصدر عن دار المعارف

Looloo
www.dvd4arab.com

العبد الأسود «مرزوق»

مرزوق

كان «عامر» يستغرق فى نوم عميق، على إثر رحلة شاقة استغرقت أكثر من ثمانى ساعات بالسيارة. ولكنه صحا فجأة لسبب لم يتبينه أول الأمر.

رأى «سمارة» مازال راقدا بجواره على نفس المرتبة، التى كانت تفترش أرض الحجرة العارية! ..

أخذ «عامر» يتطلّع طويلاً فى جوانب الحجرة الصغيرة المظلمة، إلى أن تذكّر أين هو! ..

لم يكن بهذه الحجرة من أثاث سوى هذه المرتبة .. ومقعد خشبى .. ومائدة متداعية، عليها مصباح غاز، وطست كبير، ودورق مملوء بالمياه الإرتوازية .. إذ لم يكن

بالمنزل كهرباء أو مياه جارية . .

لم يشأ «عامر» أن يوقظ «سمارة» بادئ الأمر ، عندما اكتشف سبب إيقاظه . فقد كانت الريح تهب عليه بشدة من خلال النافذة الوحيدة التى تواجه البحر . .

نهض «عامر» ليقفل النافذة ، فوجد زجاجها منزوعاً ، فوقف يتطلع إلى البحر ، ولكنه آثر أن يرجع ليعاود نومه ، فقد كان الظلام دامساً . .

ولكنه توقف فجأة وأخذ يحدق بعيداً وهو يحاول أن يخترق بعينيه ظلمات البحر . .

خُيل إليه أنه شاهد ضوءاً متقطعا ، يصدر من مسافة بعيدة داخل المياه . .

لم يأبه لذلك أول الأمر . فقد يكون ضوء زورق أو سفينة عابرة ، يختفى ويظهر مع الأمواج ! .

لازم «عامر» مكانه من النافذة ، بعد أن طار النوم من عينيه . ومع ذلك فقد استمرّ الضوء المتقطع يصدر من نفس المكان . . ولمدة غير قصيرة ! ! . .

ذهب « عامر » وأيقظ « سمارة » فهبّ من نومه مذعوراً وهو يصيح : ماذا ؟ هل حدث شىء ؟ هل رأيت أشباحاً ؟ . هل ظهرت لك الجزيرة الملعونة ؟ ! . .

ضحك « **عامر** » وقال : لا . . أرى أنك صدّقت كلام العبد « مرزوق » ! ! . . تعال انظر من النافذة . .

وقف « سمارة » فى النافذة طويلاً . . ولكنه لم ير شيئاً ! .

سمارة : لا أرى سوى الظلام ! . . ماذا رأيت أنت ؟

عامر : رأيت ضوءاً متقطّعاً يصدر من بعيد فى عرض البحر . . يظهر ويختفى ! ! . .

سمارة : ربما كان مصدره قارب صيد ! على كل حال لقد اختفى الضوء ! . .

ماذا تقصد ؟ هكذا تريد أن تخلق جوًّا من الغموض . . ولم تمض علينا ليلة واحدة فى هذا المنزل . . . هيّا بنا فنحن فى حاجة إلى النوم . . .

* * *

وكان المغامرون الثلاثة ، ومعهم الصديق الوفىّ

« سمارة » ، قد وصلوا بالأمس فقط بالسيارة من القاهرة ، لقضاء إجازة قصيرة مع جدّهم لوالدتهم .

ويقطن الجدّ فى دار قديمة ورثها عن آبائه وأجداده . وتقع هذا الدار فى منطقة منعزلة ، ومشيّدة على مرتفع صخرى . وتبعد هذه المنطقة بمقدار خمسة كيلو مترات عن بلدة «سيدى عبد الرحمن» ، على شاطئ البحر الأبيض المتوسط .

وكان المغامرون يسمعون القصص والنوادر من والدتهم عن هذه الدّار العتيقة . ولكن لم تسبق لهم زيارتها من قبل ، نظراً لبُعدها عن العمران ، وتطرّفها عن سُبل التسلية والترفيه . .

° ° °

كانت السيارة تنهب الأرض بالمغامرين فى الطريق الساحلىّ الشمالى الجميل . وبعد أن تعدّت بهم بلدة « العَلَمين » — اجتازوا بلدة « سيدى عبد الرحمن » ، إلى أن وصلوا إلى دار الجدّ العجوز ويطلق عليها أعراب الناحية اسم

« القلعة » ! ! . .

وقفت بهم السيارة أمام البوابة الخارجية فوجدوا فى انتظارهم العبد « مرزوق » ، الذى سمعوا عنه من والدتهم ، وبجواره تقف « سعديّة » ، وهى أعرابية من واحة « سيوة » . والاثنان يقومان بخدمة الجدّ .

نظر المغامرون طويلاً إلى « مرزوق » ، الذى كان يقف أمام البوابة كالطّود الشامخ ، عابساً مكفهرّ الوجه ! . .

كان « مرزوق » طويلاً عريض المنكبين ، أبنوسى اللون ، أفطس الأنف ، غليظ الشفتين ، أكرت الشعر .

ولأوّل وهلة لم يشعر المغامرون نحوه بالراحة والطمأنينة ! بعكس « سعدية » التى هشّت فى وجوههم .

دخل المغامرون يتبعون « مرزوق » إلى فناء المنزل الواسع ، الذى يقع على حافة الشاطئ الصخرى المرتفع .

لم يجدوا بالفناء شيئاً يلفت النظر ، سوى بعض أشجار التين المتناثرة . . ولكن « عالية » بنظرها الفاحص ، أشارت بيدها إلى ركن بعيد من الفناء ، وقالت : ما هذا ؟ ! . .

مرزوق : هذه بئر قديمة أثرية . . وهى المورد الوحيد لمياه الشرب فى هذه الناحية ! . .

عالية : وأين جدّى ؟

سعدية : فى المكتبة كالعادة !

قال « **مرزوق** » وهو يشير إلى أعلى المنزل : هذه هى الحجرة المهجورة . . وتطلّ على البحر . . ولكننا وضعنا فيها ما يلزمكم !

نظر « عامر » إلى حيث أشار « مرزوق » ، فرأى غرفة منعزلة تشبه البرج ، فقال : سأنام فيها مع «سمارة» . .

سعدية : وهناك حجرة أخرى تجاور المكتبة . .

عارف : وهذه غرفتنا يا « عالية » . .

تقدم « مرزوق » أمام «عامر وسمارة» يقودهما إلى ما أسماه « الغرفة المهجورة » ! كان الدرج الحجرى الحلزونى الضيّق يشبه سلّم المئذنة ، وينتهى إلى حجرة صغيرة ضيقة ، ذات نافذة واحدة منزوعة الزجاج تطل على البحر . .

مرزوق : كنت أفضل ألاّ تشغلانها ! ! لأنها تطلّ على

الجزيرة الملعونة ! ! . .

ذهب « عامر وسمارة » إلى النافذة الضيّقة ، وأطلا بعيداً داخل البحر ، ولكنهما لم يريا شيئا سوى الأمواج المتكسّرة . .

عامر : إنك تتوهم أشياء لا وجود لها يا « مرزوق » ! . .

مرزوق : صدّقانى ! . . أنصحكما ألاّ تطلا على هذه الجزيرة . . إنها ملعونة ! . . ملعونة ! !

سمارة : أين هذه الجزيرة ؟ إننا لا نراها ! . .

مرزوق : ستريان شبحها كلما انقشع الضباب . .

سمارة : ولماذا هى ملعونة ؟ ! . .

مرزوق : هذه الجزيرة لم ير أحد منها خيراً أبداً ! ! . . لم يدخلها أحد وخرج منها حيًّا ، وكثيراً ما تُرى فيها الأشباح .

غادرا الحجرة ، وهبطا الدرج الحلزونى وبعد قليل كانا يجتمعان مع « عارف وعالية » . وما لبثا بعد قليل أن نسيا « مرزوق » وجزيرته الملعونة ! إنهما سوف يتحرّيان عن ذلك فيما بعد من جدّهم العجوز .

القارب الثمين !

دخل المغامرون على جدّهم فى المكتبة الكبيرة ، ليجدوه منكبًّا على أحد المجلّدات القديمة . وكان « روميل » يرقد تحت قدميه فى هـدوء .

رحّب بهم الجدّ فى فرح ، وقال : ها أنتم قد وصلتم أخيراً .. كيف حال والدتكم ؟ .

وكانت « عالية » تجلس بجوار جدّها – تختلس النظرات إلى المجلّد الأحمر المذهّب الذى يتصفّحه . فقد شدّ انتباهها رسم لخريطة قديمة ، تمثّل الساحل الشمالى لمصر ، ولما دققت النظر فى الشرح المدوّن تحت الخريطة ، قرأت : الجزر والآثار والقصور القديمة ، ولكنها لم تتمكن من قراءة باقى الجملة ،

حيث كانت غير واضحة .

* * *

استيقظ « عامر » مبكراً فى الصباح . وكان أول ما فعله ، أن توجّه إلى النافذة ونظر إلى البحر ، ولكنه لم ير سوى الضباب الذى ينتشر على صفحة الماء .

فأيقظ « سمارة » وقال له : هيا بنا يا « سمارة » إلى فناء المنزل . . لعلّنا نقابل « مرزوق » . . . ما رأيك فيه ؟ ! . .

سمارة : لا أدرى . . ولماذا نتعجّل ؟ . .

نزلا إلى الفناء ، ليجدا « عارف وعالية » وقد سبقاهما إليه . كانا يقفان مع « مرزوق » بجوار البئر .

وكان « مرزوق » يعمل فى سحب المياه اللازمة للشرب والغسيل من البئر .

عامر : كم يبلغ عمق هذه البئر يا « مرزوق » ؟

مرزوق : لا أعلم . . ولكنها عميقة جدًّا . . فهى محفورة فى الصخر إلى ما تحت قاع البحر . . حتى تصل إلى منسوب المياه العذبة ! . .

عامر : كان بودّى لو هبطت إلى قاعها ! ! . .

فضحكت « عالية » وقالت له :لا تفكّر فى ذلك يا« عامر » ! . . ماذا لو انحشرت فى قاعها ؟

كان « مرزوق » يسحب الحبل الطويل الذى يدور حول بكرة ، ويتصل فى نهايته بجردل خشبى . فتوقف فجأة . . ونظر إلى « عامر » محذّراً ، وقال : حذار أن تفعل ذلك ! . . فلم يسبق لأحد أن هبط إلى القاع ! ! . .

تقدّم « عامر » ونظر إلى قاع البئر ، فرأى قوائم حديدية مثبّتة فى جداره ، تهبط حتى تختفى فى الظلام ، فقال : ولماذا لا أكون أنا أوّل من يفعل ذلك ؟

فأجابه « مرزوق » على الفور بلهجة جافة خشنة ، اندهش لها المغامرون : أنا المسئول عن هذه البئر . . وسوف أمنعك بالقوّة ! ! . . أنصحك ألاّ تحاول ! !

وهنا تدخّل « عارف » ، وقال : دعونا من هذا الآن . .

غادرهم « مرزوق » بعد أن حمل برميلاً خشبياً كبيراً على كتفه ملأه بالماء حتى حافّته . نظر إليه المغامرون وقد انبهروا من

قوته الخارقة ! فقد رفع البرميل الثقيل كالرّيشة ! !

عالية : إنه قوىّ كالثور ! . . ما الذى يدعوه إلى العمل فى مثل هذه الأعمال التافهة ؟ ! . . فى إمكانه أن يجد عملاً أفضل فى مكان آخر ! ! . .

عامر : هناك أسباب طبعاً . . وهذا ما سنكشف عنه ! . . الآن هيّا بنا إلى الشاطئ . .

ساروا فى منحدر يؤدى بهم إلى شاطئ البحر . وهناك وجدوا شاطئاً رملياً . . تتناثر فى مياهه الصخور الكبيرة . .

شاهدوا من مكانهم البعيد على الشاطئ ، المنزل وهو يربض فوق الأكمة الصخرية . . حقّاً إنه يشبه القلعة ! . . كما عثروا على بعض المغارات الصغيرة ، نحتتها الأمواج فى جدار الأكمة ! . . إنها تشبه مغارات « مرسى مطروح » التى يعرفونها جيداً ! . .

وكانت « عالية » تتمشّى بمفردها على الرمال الناعمة فى صحبة « روميل » . وإذا به ينطلق فى سرعة . . ثم يتوقف عند صخرة كبيرة ناتئة فى الماء . . وأخذ ينبح عالياً !

أكتشف «روميل» قارباً يتوارى فى ظل الصخرة.

أسرعت إليه «عالية» وما كادت ترى سبب نباحه المتواصل، حتى نادت على إخوتها: تعالوا انظروا ماذا اكتشفه «روميل»؟!..

وإذا بهم أمام قارب يتوارى فى ظلّ الصخرة!..

كان القارب مطليًّا باللونين الأبيض والأزرق، ذا صارٍ وشراع مطوىّ، ومجدافين!!.. وبداخله عِدَدُ الصيد المختلفة.. من صنانير وخيوط وما إلى ذلك!..

عامر: هذا قارب معد للإبحار إلى مسافات بعيدة..

عارف: وفى هذه الحالة يمكن استعمال الشراع!..

عالية: القارب حديث الدّهان!..

سمارة: أتظنون أنه يخصّ جدّكم؟..

عامر: لا أعتقد ذلك.. جدى قلما يغادر مكتبته!..

عارف: ربما كان «لمرزوق»!..

عامر: ومن أين لمرزوق «بمثل هذا القارب الثمين؟

عارف: على كل حال سنسأله!

عالية: وإذا كان له.. هل تظنون أنه سيسمح لنا

باستعماله . . إنى أشك فى ذلك كثيراً ! . .

إنهم جميعاً يشكون فى ذلك ! . . من أين جاء « مرزوق » بالمال ؟ وأى سبب يدعوه إلى اقتناء مثل هذا القارب الثمين ؟ أليصيد به سمكاً ؟ ! . . إن قارباً صغيراً زهيد الثمن كان يكفيه ! ! . . ولماذا يخفيه وراء الصخرة ؟

عامر : وإذا اتضح أن هذا القارب له ؟ ! . . .

سمارة : سنسأله أن نستعمله للنزهة والصيد ؟

عالية : أين ذكاؤك يا « سمارة » ؟ ليس هذا بيت القصيد ! ! . . المهم من أين له مثل هذا القارب ؟ ! . .

عارف : هذه مسألة مريبة جدًّا ! . . ما رأيكم فى أن نذهب إليه الآن ونعرف منه الحكاية .

تسلق المغامرون المنحدر فى طريقهم إلى المنزل . وفى الفناء وجدوا « مرزوق » يدير محرّك سيارة صغيرة . وما كاد محرّكها يدور حتى علا صوته . . وملأ دخانه أرجاء الفناء .

كانت السيارة صغيرة مستهلكة قديمة الطراز . إنها سيّارة جدّهم . . التى كثيراً ما سمعوا عنها النوادر من والدتهم !

كان اليوم هو الموعد الذى يتوجه فيه « مرزوق » بالسيارة إلى بلدة « سيدى عبد الرحمن » لابتياع التموين الأسبوعى ! . .

وعندما رأت « عالية » السيارة على وشك التحرك ، همست لإخوتها : ما رأيكم فى أن نذهب مع « مرزوق » إلى سيدى عبد الرحمن » ؟

عامر : أعتقد أنه سيرفض ! . .

عارف : ليس له الحق فى ذلك ! . .

سمارة : إذن نركب معه برغم أنفه ! ! . .

فضحكت « عالية » ، وقالت : أؤكد لك يا « سمارة » أنه سيقذف بنا خارج السيارة ! . . إنه رجل فظ .

ذهبت إليه « عالية » ، وسألته برقة ولطف : هل لنا أن نذهب معك إلى « سيدى عبد الرحمن » ؟

ضاقت عينا « مرزوق » وهو يرمقها وقال : لا . . ! . .

عالية : إذن كيف سنذهب إلى « سيدى عبد الرحمن » ؟ وليست أمامنا وسيلة إلا سيارة جدى ! ! . .

مرزوق : قلت لا ! ! . .

هذا غريب ! . فالسيّارة تسعهم . . وهى مملوكة لجدّهم . . فلماذا يعاملهم هذا العبد الأسود بهذه الفظاظة .

وعندئذ فاجأه « عامر » بقوله : كنا على الشاطئ . . . فرأينا قارباً خلف الصخرة . . هل هى . . .

فقاطعه « مرزوق » وماذا كنتم تفعلون هناك ؟

عامر : هل هذا القارب لك ؟

مرزوق : هذا قاربى ! ! ولن أترككم تستعملونه . .

شعرت « عالية » بالدم يجرى فى عروقها وقالت له فى غضب : سنحصل على قارب بطريقة أو بأخرى ! !

أشاح « مرزوق » بوجهه عنهم . ثم انطلق بالسيارة . . وكان يصيح عليهم بصوته الغليظ : لا تتعبوا أنفسكم . . لن تجدوا قارباً واحداً على بُعد أميال ! !

ظهور شبح الجزيرة !

كان من المنتظر أن يقضى المغامرون وقتاً طيباً فى هذا المكان الهادئ الجميل . فأمامهم البحر يسبحون فيه . . والشاطئ الرملى . . وصيد السمك لولا شكوكهم فى « مرزوق » ومراقبته الشديدة لهم التى نغصت عليهم حياتهم منذ اليوم الأول ! . .

وكانت « عالية » تسأله فى رقة : نرجوك يا « مرزوق » أن تلتفت إلى عملك . . وأن تدعنا لشأننا ! . .

فيجيبها بخشونة : أمرنى جدّكم أن أراقبكم مراقبة دقيقة . . لأبعد عنكم الخطر ! ! . .

خطر ! ! إنهم لا يرون خطراً فى السباحة . . أو فى السير

على الشاطئ . . . أو فى دخول المغارات . . أو فى الذهاب معه بالسيارة إلى « سيدى عبد الرحمن » ! ! . . والزورق ! ! . . أما كان الأجدر بهذا الرجل الفظّ أن يدعوهم إلى رحلة بحرية فى زورقه ؟ ! . يقوده بنفسه !

قال « **عامر** » لإخوته بما أخبره به « مرزوق » عن الجزيرة الملعونة . . قال لهم : ولكنى لم أر لها أثراً من نافذة غرفتى .

سمارة : ولا أنا . . لم نر غير الأمواج والضباب ! . .

وأخيراً اتفق رأيهم على أنها خرافة ابتدعتها مخيّلة هذا الشرير . أو أنها إشاعة يطلقها لغرض فى نفسه . . هذا جائز .

عامر : وأفضّل أن نرجئ سؤال جدّنا عن هذه الجزيرة .

عارف : هذا عين الصواب . . على الأقلّ حتى نتأكد بأنفسنا أولاً من صحّتها ! . .

عالية : كيف ؟ ونحن لا نملك قارباً ؟ ! . .

عارف : وما حاجتنا إلى القارب . . إذا كان لا وجود للجزيرة ؟ ! . .

عامر : سننتظر حتى يصفو الجو . . ويهدأ البحر . .

وينقشع الضباب . . قد نشاهد شبحها عن بعد ! ! . .

سمارة : وعندئذ سوف نفكّر فى مسألة القارب ! ! .

* * *

وفى صبيحة اليوم التالى ، صحا « عامر » مبكراً قبل شروق الشمس . أطلّ من النافذة ، فوجد الرياح ساكنة ، وصفحة البحر هادئة ، فتناول منظاره المكبّر ، وصوّبه ناحية الجزيرة المزعومة ، ولكن الضباب كان يحجب عنه الرؤية إلى مسافة بعيدة داخل البحر ! . .

أيقظ « سمارة » وقال له : سيكون اليوم صحوًا . . إننا سنرى ما إذا كانت هناك جزيرة عندما ينقشع الضباب ! . وسنرى إذا كان « مرزوق » صادقاً . . .أو أنه يتوهّم أشياء لا وجود لها ! ! . .

سمارة : وإذا صحّ كلامه ؟ . .

عامر : آه . . ألا ترى معى ؟ . . إذا كان لهذه الجزيرة وجود . . فلماذا يحاول إبعادنا عنها ؟ . . لماذا يخيفنا ؟ ! . . هيّا قم بسرعة . . سنذهب جميعاً إلى الشاطئ . فاليوم

جميل لا تضيّعه فى النوم والكسل . .

وبعد أن تناول المغامرون طعام الإفطار ، استلقوا على الشاطئ فى استرخاء وهم بلباس البحر .

وكانت « عالية » تجلس بجوار « عامر » ، عندما أشارت بيدها إلى نقطة سوداء داخل البحر ، وهمست له : انظر يا « عامر » . . . أترى ما أرى ؟ ! . . .

تناول « عامر » منظاره ، وصوّبه فى الاتجاه الذى أشارت إليه « عالية » ، ثم أخذ يتمتم : يبدو أنها جزيرة صغيرة . . . لا تبعد أكثر من كيلو متر أو اثنين . . ولكنها تبدو واضحة . .

تناول « عارف » المنظار من أخيه ، وقال بعد برهة :

. . . أرى كذلك الأمواج العالية . . وهى تتكسّر على حاجز صخرى . . . إنه يلتف حول الجزيرة كالسوار ! ! . .

ثم تناولت « عالية » المنظار بدورها ، وبعد أن دارت به فى الأفق ، صاحت فجأة : . . أرى قارباً يحوم حول الجزيرة . . ولكنى لا أتبيّن من بداخله ؟ ! . .

سمارة : ومن يكون غير « مرزوق » ؟ . . لا أحد يملك

قارباً فى هذه الناحية غيره ! . .

عالية : يمكننا التأكد من ذلك بسهولة . . « مرزوق » يرسى قاربه هنا خلف الصخرة . .

أسرع المغامرون إلى الصخرة القريبة . كانوا على يقين من أنهم لن يجدوا القارب فى مكانه . لابدّ أن يكون « مرزوق » قد أبحر به منذ الصباح المبكّر .

ولكن يا لها من مفاجأة ! ! . . ها هو ذا القارب يرسو فى ظلّ الصخرة . . مطوىّ الشرّاع ! . .

عامر : إذن من يكون هذا المغامر الذى يحوم بقاربه حول الجزيرة الملعونة ؟ ! . . .

عالية : أرجو أن يكون شخصاً آخر غير « مرزوق » ! . .

سمارة : « مرزوق » أو غير « مرزوق » . . هذا لا يهمنا . .

عالية : بل يهمّنا كثيراً ! . .

سمارة : كيف ؟

عالية : هذا لا يحتاج إلى ذكاء يا « سمارة » . . إذا كان

هذا الشخص غريباً . . أمكننا أن نستعير قاربه ! . .

عارف : هذه فرصتنا الوحيدة للذهاب إلى الجزيرة ! . .

أسرع « عامر » إلى المنزل ليتأكد بنفسه من وجود « مرزوق » . فكان أول من شاهده يسدّ أمامه باب الدخول . . هو « مرزوق » بعينه ! . .

فرجع إلى إخوته ليزّف إليهم هذا الخبر ، وقال : يمكننا الآن أن نبحث عن هذا الزّورق وصاحبه . .

عالية : ولن نخبر « مرزوق » بأننا شاهدنا قارباً آخر . .

عارف : طبعاً . . فهو إذا علم بذلك . . سيحاول أن يمنعنا من استعماله . . .

عالية : وأهم من كل شيء ألا يكون وراء صاحب هذا القارب مشاكل وألغاز هو الآخر .

وبذلك كتم المغامرون هذا الخبر عن « مرزوق » . على أن يبدءوا البحث فى اليوم التالى عن القارب وصاحبه !..

• • •

كان اليوم التالى كسابقه صحواً مشمساً . فقرّر المغامرون

أن يقضوا اليوم بطوله فى السباحة . . والسير الطويل على رمال الشاطئ البيضاء .

وكان الغرض من السير الطويل . . هو الأمل فى العثور على القارب الغامض !

وكان « عامر » يسير وهو يحمل منظاره ، ويصوّبه من آن إلى آخر نحو الخلجان الصغيرة .

عامر : لعل صاحب القارب رسا به فى أحد هذه الخلجان !

عالية : أو أخفاه وراء صخرة مثل « مرزوق » ! ! ولأى سبب يخفى « مرزوق » قاربه ؟ ! . .

سمارة : ولماذا نسبق الحوادث ؟ علينا أولا أن نعثر على القارب . . ثم نتحدث بعد ذلك عن الأسباب ! . .

وبعد سير حثيث لمدة نصف ساعة ، وصل المغامرون إلى خليج صغير . وعلى بُعد مائة متر من الشاطئ ، رأوا صخرة كبيرة عالية تبرز من الماء . .

عامر : ياله من خليج رائع ! . . ما رأيكم أن نسبح فيه

حتى نصل إلى هذه الصخرة ؟ . .

ولم يلبث المغامرون أن نزلوا إلى البحر . . وهم يتسابقون فى السباحة إلى الصخرة العالية . .

وكان « عامر » – وهو البطل الذى لا يبارى فى السباحة – أسبقهم فى الوصول . فرأى أن يدور حول الصخرة ، ليشاهد جدارها المواجه للبحر العريض . .

ولكنه بُهت وتوقّف عن السباحة . إنه لم يكن يتوقّع أن يشاهد قارباً يرسو فى حضن هذا المكان الخفىّ ! . .

كان القارب « طير البحر » – وهو اسمه المنقوش على أحد جوانبه يماثل قارب « مرزوق » . . مطوىّ الشراع . . ومجدافاه ملقيان فى القاع ، وسط عِدَدِ الصَّيد .

ياله من اكتشاف خطير . . سوف يسعد به باقى المغامرين . وأخيراً . . ها قد حانت أمامهم الفرصة للقيام بنزهات بحّرية . . وصيد السمك . أما الذهاب إلى الجزيرة . . فهو أقصى ما كانوا يطمعون فيه ! . .

والأهم من ذلك كله . . هو التغلّب على « مرزوق

الفظّ العنيد ! . . إنهم ليسوا فى حاجة إلى قاربه . .

رجع المغامرون إلى الشاطئ ، وجلسوا يتشاورون فى أمر اكتشافهم الخطير ! . . فلم يتمالك « عارف » أن صاح مهللاً : أخيراً عثرنا على بُغيتنا ! . .

عامر : المهم أن نعثر على صاحبه أولاً ! . .

عالية : وأن يسمح لنا باستعماله ! . .

سمارة : إن قيادة هذا القارب تحتاج إلى خبرة ومهارة . .

سادهم الصمت قليلاً ، فهم لم يفكّروا فى ذلك إلى أن فاجأتهم « عالية » بقولها : لقد غاب عنكم أمر هام ! ! . .

فلا وسيلة للوصول إلى القارب الخفىّ . . إلا السباحة ! ! . .

سمارة : ونحن مستعدون للسباحة ! . .

عارف : فى هذه الحالة . . ليس أمامنا إلاّ العثور على صاحب القارب أولاً ! . . ونستأذنه فى استعمال قاربه .

* * *

« محمود » ! !

محمود

قام المغامرون واتّجهوا غرباً صوب تلّ مرتفع يطلّ على البحر. وكان « عامر » يحثّهم على السير قائلاً : أسرعوا .. فالوقت ضيّق .. يجب أن نقلب كل حجر على الشاطئ حتى نعثر عليه ! ..

عارف : كيف ؟ .. ونحن لا نرى منزلا على طول الشاطئ غير منزلنا ! ..

عامر : لا أمل فى العثور عليه إلاّ فوق هذا التلّ ! ..

عالية : ربما كان يقيم فى خيمة ! ! ..

أخذوا طريقاً صاعداً إلى التلّ .. وكان « روميل » يتقدمهم وهو يهزّ ذيله .. ويشمّ الأرض كأنه يتبع أثراً ! ..

صادفتهم فى أول الطريق حفرة متسعة مملوءة بماء البحر.

وكانت « عالية » تنظر إليها ، عندما استوقفتهم وهى تهتف : انظروا ! .. أرى عقب سيجارة يطفو على سطح الماء ! ! ..

عامر : هذه السيجارة ألقيت هنا منذ وقت قريب ..

تابعوا السير بهمّة ونشاط ، ولكن فى هدوء وحذر بالغ . إلى أن وصلوا إلى منعطف فى التلّ يواجه البحر. وهناك وقفوا فجأة .. وهم لا يصدقون ما يرونه ! ! ..

إنهم لا يعلمون ما هذا الذى رأوه بالضبط ! ! أهو كوخ ! .. أو خُصّ ! ... أو عشّة ! ..

كان هذا المأوى مصنوعاً من البوص .. والخوص .. والخِرَق والأسمال البالية الرثّة ! ! ..

فهمس « عامر » إنه مأوى بدائى مؤقّت .. أقيم على عجل وكيفما كان ! .. كيف يعيش فيه إنسان ؟ ! ..

عارف : طبعاً .. هذا الخصّ لن يقف أمام أنواء الشتاء ! .. إنه لا يحمى من قرّ أو حرّ ! ! ..

سمارة : مستحيل أن يقيم صاحب هذا القارب هنا ! !

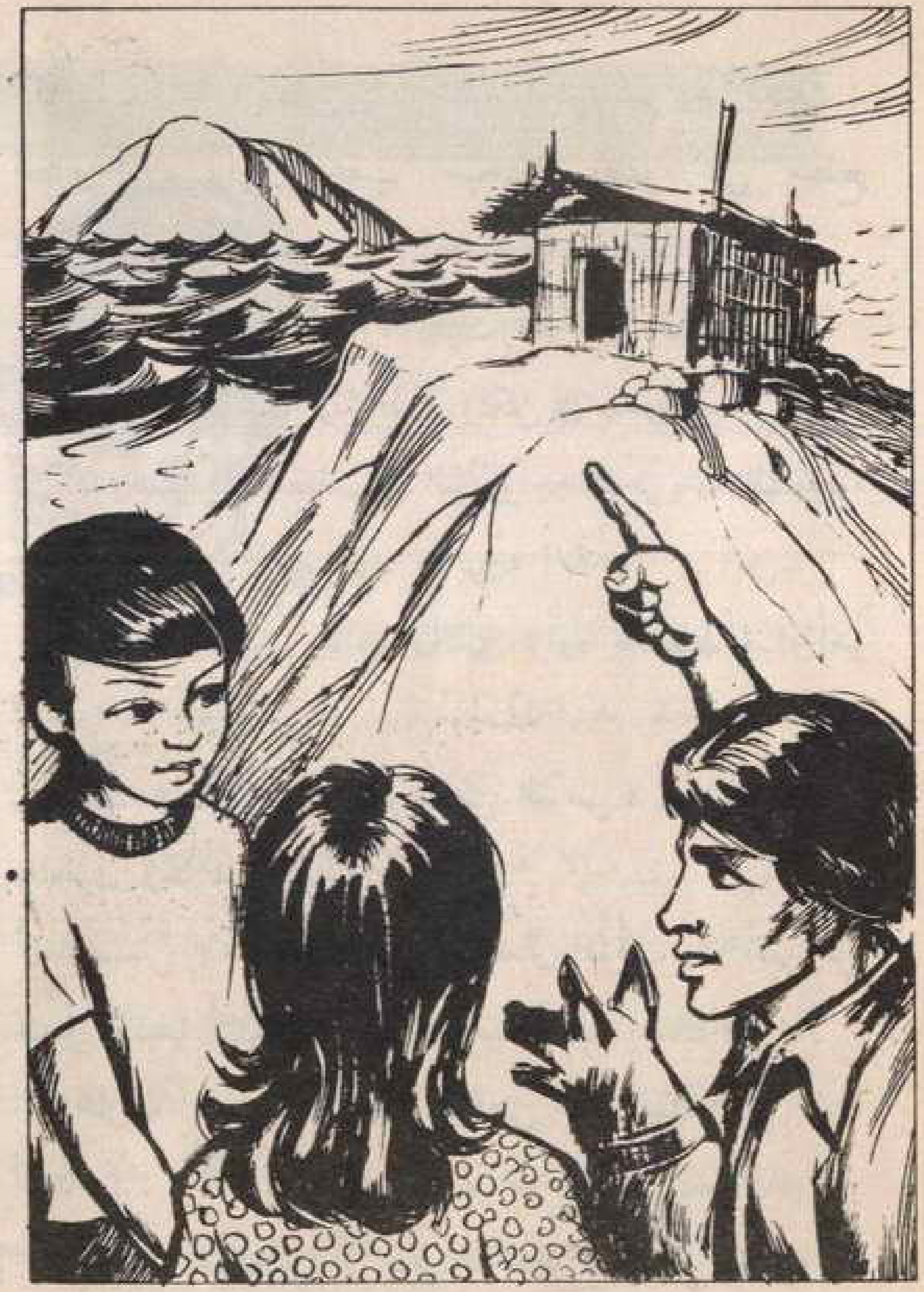

قال عامر : إنه مأوى بدائى مؤقت أقيم على عجل ! فكيف يعيش فيه إنسان ؟ !

عالية : ولِمَ لا ؟ .. ربما كان من هواة الصيد ! .. وهواة الصيد يذهبون فى سبيل هوايتهم إلى أبعد من هذا .. إنهم يبيتون فى العراء ! ! ..

ولكن كان هناك من يقيم فعلاً فى هذا المأوى ! .. فقد لمحوا قميصاً منشوراً على صخرة بجوار الخصّ ! ! . كما سمعوا صفيراً خافتاً يصدر من الداخل ..

وفجأة برز لهم رجل وقف فى مواجهتهم ! .. وأخذ يتطلّع إلى المغامرين فى دهشة ..

كان الرجل شابًّا طويلاً فى مقتبل العمر .. لفحت الشمس وجهه الحليق .. تبدو عليه أمارات الصحة والقوة . وكان يرتدى بنطلوناً قصيراً .. وقميصاً .. وحذاءً من المطاط ... ويضع على عينيه نظارة شمسية سوداء !

كانت دهشة المغامرين لرؤيته أشدّ من دهشة الرجل لرؤيتهم . فبادلوه الصمت ، إلى أن بادرهم بالحديث : أهلاً بكم .. ماذا تفعلون فى هذاالمكان المنعزل ؟ !

ففاجأته « عالية » بقولها : جئنا خصيصاً نبحث

عنك ! .. بعد أن شاهدناك أمس فى عرض البحر فى قاربك الجميل .. « طير البحر » ! ..

الرجل الغريب : هذا يسعدنى كثيراً .. ومن أنتم ؟ ! ..

عامر : نحن نقيم فى منزل يبعد كيلو متراً واحداً من هنا .. هناك فوق الربوة الصخرية ، يسمّونه « القلعة » !

الرجل الغريب : كنت أعتقد أن هذا المنزل يقطنه رجل عجوز .. وسيدة .. وعبد أسود ! ..

عامر : ولكننا جئنا لنقضى الإجازة مع جدّنا .

الرجل الغريب : اسمى « محمود » ! ! وأقيم وحدى ! !

سمارة : ولكن ليس فى هذا المكان ما يمكن عمله ... فلماذا أتيت ؟ ! ..

وبعد تردّد طويل ، أجاب « محمود » : .. جئت لأصطاد .. فأنا من هواة صيد السمك ! ..

فسألته « عالية » فى خبث : وهل جذبتك إلى هذا المكان سمكة معينة ؟ ! ..

فتلعثم « محمود » وقال : آه .. نعم .. القرش .. سمك

القرش ! ! .. هل لكم دراية بالصيد ؟ ! ..

عالية : كانت لنا مغامرات مع قروش البحر الأحمر ! !

ابتسم « سمارة » ونظر إلى المغامرين .. ثم إلى « محمود » ، وقال : أجئت لتصيد القروش .. هنا ؟ ! ! ..

محمود : ولِمَ لا ؟ .. فالبحر واسع ! ..

اتضّح للمغامرين أن « محمود » ليس من هواة الصيد ! ! .. فهذه المنطقة لا يوجد بها سمك القرش ! ! ..

لابد إذن أن يكون لهذا الرجل مأرب آخر ! ..

رأت « عالية » أن تغيّر من موضوع الحديث ، عندما بدا الحرج واضحاً على وجه « محمود » ، فقالت : نعتقد أنك تشعر بالوحدة فى هذا العشّ ! .. هل يمكنك أن تأخذنا معك أحيانا فى قاربك ؟ ! ..

محمود : هذا ممكن طبعاً .. وربما ذهبنا أيضاً إلى هذه الجزيرة الصغيرة .. التى ترون شبحها بعيداً .

عارف : هل يمكنك ذلك حقًّا ؟ ! ... سنكون لك

شاكرين . . لأن « مرزوق » . . يرفض أن نركب قاربه ! . .

• • •

داوم المغامرون على زياراتهم اليومية إلى « محمود » ، ليس فقط لداعى النزهة فى « طير البحر » ، الذى سرعان ما أتقنوا استعمال شراعه ، أو لداعى صيد السمك ، بل ليعرفوا عنه المزيد . . وعن سبب وجوده فى هذا المكان ! . . خاصة أن شكّهم فيه قوى عن ذى قبل ، بعد أن اكتشفوا أن عِدَد الصيد التى تملأ قاع القارب . . جديدة لم تستعمل من قبل ! ! . .

كانوا هم أول من استعملها ، وأخرجوا بها صيداً وفيراً ! ! علاوة على أنها كانت عِدَداً خفيفة لا تنفع فى صيد القروش ! ! التى يزعم « محمود » أنه ينوى صيدها . .

وطالما حاول المغامرون استدراج « محمود » فى الحديث ، ولكنه كان قليل الكلام . . مبهماً فى حديثه ! . .

وذات مرّة قال له « عامر » : كان يجب أن ترى علامات الدهشة على وجه « مرزوق » . . عندما رجعنا بالأمس بهذه

الكمية الكبيرة من السمك ! . .

عارف : وقال لابد أنكم خرجتم إلى البحر فى قارب ! ! . . إنها لا توجد بقرب الشاطئ ! . .

وهنا بدا الاضطراب على وجه « محمود » ، وقال : وهل أخبرتموه أنكم خرجتم معى فى « طير البحر » ؟ !

عامر : لا . . وإلا حاول أن يفسد علينا كل شىء . . لو علم أننا نستعمل قارباً ! . .

محمود : وهل علم جدكم بمقابلتكم لى ؟

عالية : ألا تريده أن يعلم ؟ . .

عارف : وما الأهمية فى ذلك ؟ علم أو لم يعلم ؟ ! . .

ظهرت الحيرة على « محمود » ، وقال : كنت أفضل ألاّ يعلم أحد بوجودى هنا . . حتى لا يفسدوا علىّ وحدتى !..

ثم استدرك « محمود » قائلاً : أما أنتم فشىء آخر بطبيعة الحال . . بالعكس إنى أجد متعة فى مصاحبتكم ! . .

وكانت حيرة المغامرين فى أمر « محمود » تزداد على مرّ الأيام . فكانوا يتساءلون : لماذا يتكتّم وجوده على الشاطئ ،

حتى عن جدّهم . . وعن « مرزوق » ؟ حتى اسمه يخفيه عنهم ! إنهم لا يصدّقون أن اسمه مجرّد « محمود » ! ! . . وكيف يقضى لياليه وحيداً بلا أنيس ؟ وكيف يحصل على حاجاته وطعامه ؟ وهو بعيد عن العمران ؟ وكيف . . وكيف . .

وإذا « بعالية » تفاجئه بالسؤال : والطعام ! . . من أين لك به ؟ ! . .

محمود : أحصل عليه من « سيدى عبد الرحمن » ! . .

عامر : كيف ؟ والمسافة تبلغ خمسة عشر كيلو متراً تقريباً ذهاباً وإياباً . . ! . .

محمود : أذهب فى سيارتى ! ! ! . . .

بوغت المغامرون بقول « محمود » . . وتبادلوا نظرات الشك فيما بينهم ! . . هذا آخر ما كان يخطر لهم على بال !

عالية : سيارة ! ! . . أين هذه السيارة ؟

نهض « محمود » وهو يبتسم ، وأشار للمغامرين أن يتبعوه سار أمامهم حتى وصل قرب الشاطئ وهناك دلف إلى مغارة

منحوتة فى الصخر . . حيث يخفى سيارته ! ! . .

وجد المغامرون أنفسهم أمام سيارة قوية حديثة الطراز . فلم تتمالك « عالية » أن صاحت فى فرح : يالها من سيارة فاخرة ! . . أين هذه من سيارة جدى العتيقة ؟ ! . .

فضحك « محمود » وقال : كثيراً ما أرى سيارة جدكم وهى معطلة فى الطريق ! مسكين « مرزوق » ! . .

عامر : ومع ذلك فهو يرفض أن نذهب معه بها إلى « سيدى عبد الرحمن » ! . .

محمود : سيارتى تحت أمركم ! ! . .

عالية : صحيح ! هل تأخذنا معك ؟ .

محمود : طبعاً . . باكر إذا شئتم . . .

سمارة : يالها من مفاجأة « لمرزوق » عندما نقابله وجهاً لوجه فى « سيدى عبد الرحمن » . . .

فى « سيدى عبد الرحمن » . . .

عامر

كان على « محمود » أن يأخذ المغامرين بسيارته فى العاشرة صباحاً. وكان المغامرون ينتظرونه فى المكان الذى حدده لهم . . ويقع فى منتصف الطريق بين « القلعة » و « الخص » . .

عامر : والآن سنرى كيف سيمنعنا « مرزوق » من الذهاب إلى « سيدى عبد الرحمن » ؟ . .

عارف : « مرزوق » سبقنا إلى هناك لشراء التموين .

عالية : إنه يذهب إلى هناك أكثر من مرة فى الأسبوع ! ! . . إذا صادفناه ، فسوف نتظاهر بعدم رؤيته ! . .

سمارة : سنتجاهله تماماً . . سوف ينفجر من الغيظ . .

وفى الموعد المحدّد لاح لهم « محمود » بسيارته الأنيقة . فركبوا معه ، وسار بهم فى سرعة جنونية حتى وصل بهم أمام فندق « سيدى عبد الرحمن » السياحى الفاخر .

وبعد أن ترجّل المغامرون ، قال لهم « محمود » : أرجو أن تقضوا وقتاً ممتعاً فى التجوّل فى أنحاء الفندق . . والسير على « البلاج » الجميل . أما أنا فسأغادركم لقضاء بعض المهام . . وسأوافيكم ظهراً حيث سنتناول الغداء معاً ! . .

عامر : ولماذا لا نرافقك ؟ فنحن نرغب فى شراء بعض الحاجات . . إننا لا نعرف البلدة ! . .

محمود : أفضّل أن أكون وحدى . . لن أغيب طويلاً !

وما كاد يغيب عنهم حتى ظهرت على وجوههم علامات الاستفسار عما سيفعله « محمود » بعيداً عن أعينهم . .

عالية : من الواضح أنه لا يرغب فى وجودنا معه ! . . فلديه عمل خاص . . لا يريدنا أن نطلع عليه ! . .

سمارة : إنه لم يُفصح لنا حتى الآن عن مهنته ! . .

عامر : هو شخص غامض وبالتأكيد وراءه سر !

أخذ المغامرون يتجولون فى أبهاء الفندق الواسعة ، حتى يحين موعد رجوع « محمود » وبينما هم يبتاعون بعض الصور التذكارية ، إذ بهم يلمحون من نافذة الحانوت الزجاجية ، شيئاً شد انتباههم فى الحال ! . .

كانت سيارة جدّهم تقف مميّزة بهيكلها المتداعى ، وسط مئات من السيارات الحديثة أمام باب الفندق !

عارف : ماذا يفعل « مرزوق » فى الفندق ؟ ! . . إنه يشترى حاجاته عادة من سوق البلدة ! . .

عالية : « مرزوق » مازال داخل السيارة ! . .

عامر : صحيح ! إنه ينتظر داخل السيارة ! . . لماذا ؟.

سمارة : ربما شاهدنا ونحن ندخل الفندق . . .

عالية : لاشك أنه يترقّب خروجنا ليفاجئنا ! . .

وبغتة قدمت سيارة أمريكية ضخمة . وما كادت تتوقف على جانب من الطريق ، حتى ترجّل « مرزوق » ، وهرول صوب السيارة الفارهة . . وأخذ يتحدث طويلاً مع

قائدها ! ! . .

بُهت المغامرون وهم يشهدون هذا المنظر العجيب ! ولم يجدوا له تعليلاً . .

عامر : يجب أن نتوارى قليلاً ! . .

عارف : لك حق . . يجب ألا نشعره بأننا رأيناه يتحدث إلى هذا الرجل ! . .

عامر : هذه مسألة غامضة ، ما هى المصلحة المشتركة بين هذا العبد وبين هذا الوجيه الثرىّ ؟ ! . .

عالية : إذا عُرف السبب . . بطل العجب ! . . الآن فهمت لماذا يرفض « مرزوق » أن يصحبنا معه فى السيارة ! . .

سمارة : ولماذا نميل دائماً ناحية الشكّ ؟ . . ربما كان هذا الثرى يساوم « مرزوق » على ترك خدمة جدّكم . . لينضم إلى زمرة خدمه وحشمه ! ! . .

عامر : هذا جائز . . وإن كنت أرتاب فى ذلك ! . . هيّا بنا الآن إلى « البلاج » . . .

وقبل أن يخرج « عامر » من الحانوت ، أخرج مفكرته

الصغيرة ، ودوّن فيها رقم السيارة ! !

* * *

رجع المغامرون إلى « القلعة » ، بعد أن تناولوا غداءهم فى الفندق بدعوة من « محمود » .

وكان لا حديث لهم إلاّ عن بذخ « محمود » وإسرافه .

وكان « عامر » يقول : إن مثل هذا الإنفاق ، ودلائل الثراء التى تبدو فى اقتنائه لهذه السيارة الحديثة ، وهذا القارب الجميل ، لا يتفقان مع إقامته فى هذا الوكر المقام فوق التل ! ! . .

ولكن من يعلم؟ ربما كان « محمود » بوهيمياً غريب الأطوار ! ! . . هو حرٌ يفعل ما يشاء ! . .

وبعد ساعة ، وصل « مرزوق » . وما إن ترجّل من السيارة ، حتى فوجئ بوجود المغامرين وهم يجلسون فى الشرفة الواسعة ! ! . . وقف أمامهم ينظر إليهم شذراً . كان وجهه مكفهراً ، والشرر يتطاير من عينيه الحمراوين ! ! . .

اندهش المغامرون . . ولم يجدوا مبرراً لغضبه ! . .

ولكن لم يدر المغامرون أن « مرزوق » كان قد لمحهم من بعيد ، وهم يسيرون على « بلاج » الفندق ! ! . . وها هو ذا يفاجأ الآن بوجودهم أمامه فى « القلعة » ! ! . . كيف سبقوه إلى المنزل؟ ! . . وبأية وسيلة ذهبوا إلى « سيدى عبد الرحمن » ؟ . . ومن أرجعهم إلى المنزل ؟ ! . .

هذا لغز تحيّر فيه « مرزوق » ! فلا سيارة . . ولا أتوبيس . . ولا دراجة . . ولا دابّة . . تنقل هؤلاء الشياطين هذه المسافة الطويلة . . وبهذه السرعة الخارقة . .

وما كان يتخوّف منه « مرزوق » . . هو أن يكونوا قد شاهدوه مع الرجل الأنيق صاحب السيارة الفاخرة ! ! . .

بادرهم بقوله : كيف قضيتم وقتكم هذا اليوم .

عامر : الجو جميل هذا الصباح ! . . أليس كذلك ؟

مرزوق : أين كنتم ؟ ! . . أنا لا أسأل عن الجو ! !

عالية : هنا . . وهناك . . وفى كل مكان ! ! . .

لم يجد « مرزوق » فائدة ترجى من وراء مناقشتهم . فغادرهم وهو يزمجر مهدداً متوعداً ! . . أما المغامرون فكانوا

يتكتمون ضحكاتهم . . ويرثون لخيبته الثقيلة ! ! . .

* * *

تنفس المغامرون بعد أن اختفى «مرزوق» عن أنظارهم . فوجدوه بينهم يحدّ من حريتهم فى الحركة والحديث .

قالت «عالية» : أخيراً انزاح عنا هذا الكابوس !

عامر : هناك سرّ خطير يخفيه هذا الرجل عنا ! . .

عارف : ما رأيكم فى أن نفاتح جدّنا فى هذا الموضوع ؟

عالية : ولماذا نشغل باله بمخاوفنا . .

سمارة : نفاتحه على الأقل فى موضوع الجزيرة ! ! . . لابدّ أن جدّكم يعلم عنها الكثير . .

عامر : إذا كان الأمر كذلك . . فلا بأس . .

دخلوا المكتبة ، فوجدوا جدّهم غارقاً وسط مجلّداته كالعادة . . حتى إنه لم يشعر بوجودهم أول الأمر ! . .

وعندما أفاق إلى نفسه على نباح «روميل» ، قال : آه . . أهذا أنتم ؟

عالية : نعم . . لم نرك منذ الأمس . .

الجد : هذا صحيح . . فأنا أضع مؤلفاً جديداً ! . . عن صحرائنا الغربية . . والساحل الشمالى لمصر . . وما فيه من آثار وكنوز ومعادن منذ أيام قدماء المصريين . .

عالية : والجزر المنتشرة على طول الساحل ! !..

الجدّ : كيف عرفت ذلك ؟ ! . . إن بعضها كان معروفاً لدى قدماء المصريين ، بما تحويه من معادن ثمينة . ولكنهم استنفدوها ، ونضبت منذ أمد طويل . . وأصبحت الآن مهجورة لا يؤمّها غير طيور البحر ! . .

عالية : وهذه الجزيرة البعيدة التى تقع فى مواجهة منزلنا ! . . هل ستؤرخ لها ؟ . .

الجدّ : ربما . . إذا وجدت عنها شيئاً فى مراجعى . .

عارف : وما اسمها ؟

الجد : لا أعرف لها اسماً ! . . فهى جزيرة صخرية صغيرة جرداء . . يكاد الوصول إليها يكون مستحيلاً ! !

سمارة : «مرزوق» يسمّيها «الجزيرة الملعونة» !

الجدّ : «مرزوق» يُخرّف ! . .

كوخ الأشباح ! !

أصبح « مرزوق » يقف للمغامرين بالمرصاد . . يرقب حركاتهم وسكناتهم . فقد صمّم على اكتشاف ما خفى عليه من تصرفاتهم المريبة : من أين لهم بهذه الكميات الضخمة من الأسماك الكبيرة الحجم ؟

هل عثروا على قارب ؟ وبأية وسيلة انتقلوا بها إلى « سيدى عبدالرحمن » . . وبالعكس ؟ هل عثروا على سيارة ؟ وأين يختفون الساعات الطويلة كل يوم ؟ . . أين يذهبون ؟ ؟

ولمّا لم يجد المغامرون الفرصة السانحة للإفلات من رقابته المستمرة استسلموا أمام الأمر الواقع . فكانوا لا يبارحون المنزل إلاّ إلى الفناء . . ومن الفناء إلى الشاطئ القريب !

وهكذا استمرت بهم الحال ثلاثة أيام ، وهم سجناء « القلعة » ! لم يروا فيها « محمود » مرّة واحدة ! . .

وفى اليوم الرابع ، استيقظوا مبكرين على صوت المحرّك العالى للسيارة العتيقة . ها هو ذا « مرزوق » يتأهب للذهاب فى إحدى جولاته الغامضة !

كان لصوت السيارة المزعج وقع الموسيقى فى آذانهم . فهذه بشرى طيبة بأن « مرزوق » سوف يفارقهم .

لم يضيّعوا وقتاً ، وأسرعوا فى ارتداء لباس البحر ، متجهين ناحية الغرب ، حيث يعسكر « محمود » .

وقبل أن يصلوا إلى مرتقى التلّ ، وجدوا « محمود » وهو يخوض فى الماء على الشاطئ . . ليبدأ السباحة فى طريقه إلى « طير البحر » . . فصاح عليهم : أين أنتم ؟ ما هذه الغيبة ؟

عامر : الذنب ذنب « مرزوق » ! . .

عالية : « مرزوق » يشك فى أننا عثرنا على صديق يملك قارباً وسيارة ! . .

سمارة : وهو مصمّم على اكتشافه ! !

قاطعهم «محمود» بسرعة ، وقال : إياكم أن تخبروه بشيء ! ! . . احتفظوا بهذا السرّ لأنفسكم . . . فأنا لا أريد أن يحوم هذا الشخص الفظّ حولى ! ! . .

عامر : والآن . . ماذا ستفعل ؟

محمود : البحر هادئ . . والريح مواتية . . ولذا فكّرت أن أذهب لأرى الجزيرة عن قرب ! ! !..

يالها من مفاجأة لم تخطر لهم على بال ! . . الذهاب إلى الجزيرة الملعونة ! ! . . هل ستسنح لهم الفرصة أخيراً لمشاهدتها عن قرب ؟ . .

كان المغامرون يقفون فى الماء حتّى وسطهم مع «محمود» ، وهم يتطلّعون إلى وجهه فى لهفة ورجاء . إنهم يأملون أن يدعوهم لركوب القارب معه إلى الجزيرة ! . .

ولمّا لم تصدر عنه إشارة بذلك ، لم يسع «عامر» إلا أن يسأله مندفعاً : وهل ستأخذنا معك ؟ . .

لم تنتظر «عالية» إجابته ، وقالت : سنساعدك فى إدارة لدفّة وفرد الشراع ! ! . . لقد برعنا الآن فى ذلك ! . .

فابتسم «محمود» ، ونظر إلى المغامرين ، وقال : كانت نيّتى أن أذهب أمس إلى الجزيرة ! . . ولكنى أجّلت الرحلة إلى اليوم . . على أمل أن أراكم ! ! . .

هلّل المغامرون فرحاً . . وقال له «عارف» : شكراً . . شكراً . . كنا متأكدين أنك ستوافق ، وهل سننزل إلى الجزيرة ؟ ! . .

محمود : لا أعتقد ذلك ! . . فالجزيرة تحوطها حلقة مستحكمة من الصخور البارزة والشعاب . . والأمواج العالية تتكسّر عليها بعنف ! . .

عامر : ألا توجد هناك فجوة . . أو ممرّ . . يسمح للقارب بالنفاذ إلى الجزيرة ؟ ! . .

محمود : لا أدرى . . ربّما . . وحتّى إذا كان موجوداً فليس من السهل العثور عليه ! . . وأنا لا أريد المخاطرة بأرواحكم وسط الصخور والشعاب والأمواج . .

لم يقتنع المغامرون بهذه الحجّة ! فهم مستعدّون للمجازفة فى سبيل أن تطأ أقدامهم أرض هذه الجزيرة ! . .

والآن بعد أن سنحت لهم الفرصة أخيراً . . يخلق لهم «محمود» الحجج والأعذار الواهية ! ! . . .

سبح «محمود» حتى الصخرة ، وأتى بالقارب حتى اقترب به من الشاطئ ، مستعملاً المجدافين . قفز المغامرون فى القارب الواحد تلو الآخر ، وقال لهم «محمود» : هيّا إلى العمل . . فليمسك أحدكم بالدّفة . . واستعرضوا مهارتكم فى استعمال الشراع . . أعتقد أن فى إمكانكم الآن الإبحار بهذا القارب وحدكم دون مساعدتى ! !

فصاحت «عالية» من الفرح : هل تقصد ذلك حقًّا ! .

عامر : يمكنك أن تأتمننا على القارب ! . .

محمود : ربما سمحت لكم بذلك فى يوم مّا ! . . فقط تعدوننى بأنكم لن تذهبوا به بعيداً ! . .

عارف : نعدك بذلك . . .

يالها من رحلة مثيرة أن يذهبوا وحدهم بالقارب السريع إلى عرض البحر ! . . إن هذا غاية ما يصْبون إليه ! . .

كان «طير البحر» سريعاً . . يكاد يطير بهم فعلاً فوق

صفحة الماء . فالبحر هادئ . . والريح تملأ الشراع .

مرّ عليهم بعض الوقت ، ومع ذلك لم يظهر للجزيرة أثر ! ! فسأل «عامر» : أين هى الجزيرة ؟ إننا لا نراها . . يخيّل لى أننا فقدنا حاسّة الاتجاه ونحن داخل البحر ! . .

فأشار «محمود» بيده بعيداً ، وقال : هناك . . هناك ؟ .

وبالرغم من أنهم لم يروا شيئا ، فإن الإثارة كانت تهزهم . فالجزيرة «الملعونة» . تقترب منهم شيئاً فشيئاً ! .

وفجأة . . صاح «عامر» قائلاً : انظروا . . إنى أرى أرضاً صخرية ! . . أليست هذه هى الجزيرة ؟ ! . .

كان المغامرون يبحلقون فى الجزيرة وهم فى ذهول . . وكأنها أول جزيرة تقع عليها عيونهم فى حياتهم ! ! . .

عامر : ولكنها صغيرة جداً بالنسبة إلى جزر «شدوان» ، و«الجفاتين» ، و«أبو رمادة» . . وغيرها . . .

عالية : لا غرابة فى أن الضباب والموج يحجبانها عن الرؤية من الشاطئ ! ! . .

محمود : والآن يمكنكم أن تروا بوضوح حلقة الصخور

التى تحيط بها !.. والأمواج العالية التى تضرب فيها !..

عامر : إنها تبدو أخطر من شعاب البحر الأحمر ! !..

سمارة : يالها من قلعة حصينة يصعب اقتحامها ! . .

عالية : وما المانع فى أن ندور حول هذه الصخور . . ربما عثرنا على منفذ ! . .

محمود : لا تطلبوا المستحيل ! أليست لحياتكم قيمة عندكم ! ! . . هذه ليست مغامرة . . بل انتحار ! !

كانت الحسرة تتملكهم . . فها هى ذى الجزيرة على مَقربَةٍ منهم . . ومع ذلك فهى أبعد ما تكون عن مناالهم !..

بدت لهم الجزيرة الصغيرة جرداء قاحلة . . لا أثر فيها لحياة . . اللّهم إلا من أصوات النوارس وطيور البحر . . تبرز من أنحائها الصخور ذات الألوان الحمراء والنحاسية والصفراء !..

عالية : ألا تلاحظون أن ألوان هذه الصخور عجيبة ؟ ! . . لم نر مثيلاً لها فى جزر البحر الأحمر ! ! . .

كان « محمود » يلقى بتعليماته إلى « عارف » الذى يمسك

بالدّقة . . لكى يوجّه القارب بعيداً عن الجزيرة ، ليتفادى الصخور والأمواج الهائجة . فى حين كان « عامر » يجول بمنظاره المكبّر ، لعلّه يعثر على فجوة ينفذون منها إلى الجزيرة ، إنه لم ييأس . . فهو لو عثر على هذه الفجوة . . لتحقق أملهم فى النزول إلى الجزيرة ! . .

ولكن ما لبث أن صدرت عنه صيحة دهشة وتعجّب ، وقال : ما هذا الذى أرى ؟ ! . . .

عالية : ماذا يا « عامر » ؟ هل عثرت على منفذ ؟ !

عامر : أرى عجباً .. شيئاً يبدو كأنه أطلال كوخ ! !

محمود : هذا غير معقول ! . . من تسوّل له نفسه أن يطأ بقدميه أرض هذه الجزيرة ؟ إنها مهجورة منذ أجيال ! ! . .

فضحكت « عالية » وقالت : ربمّا كان يقطنها أحد الأشباح التى يتوهّمها « مرزوق » ! ! . .

محمود : من الجائز أن تكون بقايا كوخ أقامه أحد المغامرين الأوائل من قديم الزمان ! . . أظن أن الوقت أزف لنعود إلى الشاطئ . .

النار على التلّ ! !

عالية

وصل «طير البحر» بالمغامرين إلى الشاطئ، وافترقوا عن «محمود»، على وعد بأن يذهبوا إليه فى أول فرصة فى اليوم التالى

دخلوا «القلعة» قبل أن يحلّ الظلام، فوجدوا «مرزوق» فى انتظارهم كالعادة .. والقلق يبدو واضحاً فى حركاته ..

وكانت «عالية» تتوقّع منه سؤاله المعهود، فقالت له قبل أن يفتح فمه : قضينا وقتاً بديعاً .. ليتك كنت معنا ! ! ..

مرزوق : أين ؟ وما هذا الغياب ؟ ! .. أين كنتم ؟

عالية : هنا .. وهناك .. وفى كل مكان !

تركهم «مرزوق» وهو يغلى من الغيظ !.. إن هؤلاء

الأشقياء يسخرون منه .. لا فائدة ترجى من سؤالهم ..

رأوا «سعدية» وهى فى طريقها إلى المكتبة، تحمل فى يدها صينية عليها بعض الطعام الخفيف.

فهمس «عامر» فى أذن «عالية» ما رأيك فى أن نذهب بالعشاء إلى جدّنا ؟ ..

عالية : ونتحدّث معه على انفراد فى شأن الجزيرة ! ..

تناول «عامر» الصينية من يد «سعديّة»، وأمر «عارف وسمارة» أن ينتظرا عودتهما فى الحجرة العلوية ..

نقر «عامر» على باب المكتبة، ولكنه لم يتلقّ ردّاً ! ..

ففتح الباب فى رفق، ودخل مع «عالية».

تنحنحت «عالية» ونادت عليه بصوت خافت : أتينالك بالعشاء يا جدى ! ..

ولكن الجدّ لم يسمع نداءها . فقد كان متّجها بكل جوارحه إلى فحص شىء على مكتبه .. فى حين كان «مرجان» يجلس أمامه على المكتب ... و«روميل» تحت قدميه ... و«زاهية» على ظهر مقعده !

تسللا وأطلا من وراء ظهره . وما كاد «عامر» يرى ماكان يفحصه الجدّ ، حتى قال : هذه خريطة أثرية . . .

جفل الجدّ عند سماعه صوت «عامر» ، وصاح قائلاً : ألا يمكننى أن أعمل فى هدوء . . ما بين القط والكلب والببغاء . . وأنتم . . كيف . .

فقاطعته «عالية» العشاء يا جدّى !

الجدّ : ألا ترون أنى مشغول ؟

عالية : لابد أن تأكل شيئاً . . .

عامر : هذا الخطّ المتعرج يمثّل الساحل الشمالى . . وهذه هى الجزيرة . . أليس كذلك ؟

أومأ الجدّ برأسه علامة الإيجاب . . والمضايقة الشديدة تبدو على محيّاه ! . .

عامر : لقد ذهبنا اليوم بالقرب منها ! . .

عالية : هل ذهبت إلى هذه الجزيرة يا جدّى ؟

الجدّ : لا . . ولا أريد أن أذهب إليها ! . .

عامر : هل يمكن أن أفحص هذه الخريطة ؟

كان «عامر» يأمل فى أن يجد على الخريطة أية علامة . . أو إشارة تكشف له عن مدخل إلى الجزيرة ، فى حلقة الصخور المحيطة بها !

الجد : لماذا ؟ هل أنت مهتم أيضاً مثل جدّك بمثل هذه الأشياء ؟

عامر : نعم . . يهمّنى جدًّا الاطلاع على الخرائط الأثرية ! ! . .

الجد : إذا كان الأمر كذلك . . فلدىّ خريطة تفصيلية أخرى للجزيرة وحدها ! . . سأبحث لك عنها . .

انتهز «عامر» فرصة قيام الجدّ للبحث عنها ، وألقى نظرة فاحصة على الخريطة الموضوعة على المكتب . .

كان شكل الجزيرة بيضاويًّا . . وفى أحد جوانبها بروز يشبه التلّ ممتد فى البحر . وتحيط بها حلقة الصخور المنيعة .

أشارت «عالية» بأصبعها إلى موضع من الصخور وقالت فى همس : انظر يا «عامر» ! ! . . أرى أن الحلقة الصخرية مكسورة هنا ! . . إنها غير محكمة تماماً ! ! . .

عامر : صحيح ! . . أمام هذا البروز . . ربما كانت أكمة . . أو تلاً ! . . فما علينا إلّا العثور على هذا التلّ ، لننفذ من أمامه إلى الجزيرة . . هذا سهل ! ! .

عالية : نعم . . سهل على الخريطة ! ! . . ولكن انتظر حتى نجد أنفسنا وسط الصخور والأمواج المتلاطمة ! ! . .

ثم نظرت إليه نظرة عتاب ، وقالت : ولكن ألا تذكر أننا وعدنا «محمود» بشىء ؟ ! . .

عامر : أذكر. لقد وعدناه بألّا نذهب بعيداً بقاربه ! ! . .

عالية : إذن ماذا سنفعل ؟ . .

عامر : عندى خطّة.. سأخبركم بها فيما بعد ! .

ولكن لخيبة أملها البالغة . . لم يتمكن الجدّ من العثور على الخريطة التفصيلية ! كان الأمل أن تساعدهم هذه الخريطة بدقائقها وتفاصيلها على الوصول إلى الجزيرة . .

عالية : فى هذه الحالة ، هل يمكن يا جدّى أن نستعير هذه الخريطة التى أمامك ؟ إنها تكفينا ! . .

الجد : مستحيل ! . . هذه خريطة أثرية ثمينة . . سوف تتلفونها . . أو تفقدونها ! . . وأنا أحتاج إليها فى مؤلفى .

قال هذا وانكبّ على خريطته . . ناسياً ما حوله !

قالت «عالية» فى حنان قبل أن تخرج من المكتبة : لا تنس العشاء يا جدّى ! ! . .

اجتمع المغامرون فى الحجرة العلوية ، يستمعون إلى «عامر» وهو يروى لهم الاكتشاف الجديد . فقال : رأيت بعينى مع «عالية» المنفذ الوحيد بين الصخور ! إنه يوجد فى مواجهة تل بارز ! . .

عالية : ولكن كيف سنذهب إلى الجزيرة ؟ . . أنت تقول إن لديك خطّة جديدة ! . .

عامر : المسألة بسيطة جداً . . سنستعير قارب «مرزوق» ! ! . . فنحن لم نعده بشىء ! ! . .

سمارة : ولكنه سيقتلنا إذا اكتشف أننا أخذنا قاربه ! . .

عارف : وكيف سنأخذه دون علمه ؟ ! . .

عامر : سننتظر حتى يذهب بالسيارة إلى «سيدى

عبد الرحمن » . .

عالية : وإذا رجع قبل أن نعود بالقارب ؟ ! . . هذه مجازفة يا « عامر » . . .

عامر : أعلم ذلك . . ولكن لا مفرّ من الإقدام عليها ! . . فلندعُ الله أن نرجع قبل عودته ! !

كان « عامر » يجلس على المقعد الخشبى فى مواجهة النافذة المفتوحة . وإذا به يقف ويصيح : تعالوا انظروا ! ! . .

اتكأ الجميع على إفريز النافذة ، يتطلّعون إلى الأفق البعيد ، كان الظلام حالكاً ، والسكون يخيمّ على البحر الواسع .

شاهدوا ضوءاً يشعّ بعيداً وسط البحر ... ثم يختفى ! !

سمارة : قد يكون ضوء مصباح زورق أو سفينة ! . .

عالية : ولماذا لا يكون صادراً من الجزيرة ؟ ! ! . .

عارف : هذا مستبعد . . فلا أحد يسكنها . .

وكانت « عالية » تطل بعنقها خارج النافذة ، يميناً ويساراً على طول الشاطئ . وإذا بها تصيح فجأة : ما

هذا ؟ . . أحدهم يوقد ناراً على التل ...

نظر « عامر » فرأى ناراً مشتعلة ، لا تبعد كثيراً عن المنزل ! فنظر إلى المغامرين وقال : ما هذا الذى يجرى حولنا ؟ ! . . هذا شىء مريب جداً . . بل خطير ! . . سأذهب لأرى من يشعل هذه النار ! . . فتشبّثت به « عالية » وهى تستعطفه : لا يا « عامر » . . قد يصيبك مكروه ! سنذهب معك ...

عامر : بل ستمكثون هنا . . سآخذ حذرى . . وإذا لم أرجع لكم بعد رُبع ساعة . . فاخرجوا للبحث عنى ! !

الكشف الهامّ ! !

خرج «عامر» وهو يتسلل تحت جنح الظلام . وكان وهج النار المشتعلة يهديه إلى الطريق . إلى أن وصل إلى منعطف فى التلّ ، ففوجئ بكومة من الأخشاب والقش المشتعل ! .. لكنه لم ير أحداً بجوارها ! ! ..

تقدم نحو الكومة فى حذر ، ولكنه وقف فجأة وقد تسمرت قدماه على الأرض الصخرية ! ..

إذ شعر من الوراء بيد فولاذيّة تهوى على كتفه كالمطرقة ! وبصوت «مرزوق» الكريه يصيح فيه : ماذا تفعل هنا؟؟..

لم تكن هناك بارقة أمل أمام «عامر» للإفلات من قبضة «مرزوق» الحديدية . ولأول مرة داخله الخوف من هذا

الرجل الفظّ العملاق . فرأى أنه ربما كان فى قول الصدق منجاة له .. فأجابه : رأيت هذه النار من النافذة .. فجئت أستطلع سببها ! ! ..

مرزوق : ألم أحذّرك من الأشباح التى ترتاد هذه الناحية ؟ ! .. الله وحده يعلم ماذا يمكنها أن تفعل هنا ! ! ألم أنبّه عليكم أن تلزموا غرفكم فى أثناء الليل ؟ ! ...

تمالك «عامر» نفسه بعد أن ذهبت عنه المفاجأة .. وتشجّع قليلاً ، وقال : وأنت ! .. ماذا تفعل هنا ؟ ..

فأجابه «مرزوق» بعد أن لكزه بعنف : جئت لأطفئ النار ! .. وأنا متأكد أنها من فعل الأشباح ! ! ! .... والآن عدنى ألّا تبارح غرفة نومك أثناء الليل ! ..

فأجابه «عامر» على الفور : لن أعدك بشىء ! ارفع يدك عنى فهى تؤلمنى ! ..

مرزوق : لن أتركك إلّا إذا وعدتنى !

بدأ الخوف يساور «عامر» ... فهذا الرجل العتى القاسى لن يتورّع عن إيذائه ! ..

وفجأة حدث مالم يكن يتوقعه « مرزوق » ! .. ولم يخطر حتى على بال « عامر » نفسه ...

° ° °

ما كاد « عامر » يغيب عن نظر المغامرين ، حتى قالت « عالية » : إنى قلقة على « عامر » .. كيف تركناه يذهب وحيداً فى ظلام الليل ؟ ! ..

سمارة : وما العمل الآن ؟

عالية : عندى فكرة ! ! ..

عارف : اتحفينا يا « عالية » بأفكارك النيّرة ! ! ..

عالية : سننادى على « روميل » ليقتفى أثر « عامر » ... ربما كان فى حاجة إلى مساعدته ! ..

وكان « روميل » يقبع تحت قدمى الجدّ فى المكتبة ، فتنبه فجأة على رأس « سمارة » وهو يطل عليه من الباب . فانسحب وذهب إليه وهو يهزّ ذيله من الفرح ، وما هى إلّا لحظة حتى تبعه « مرجان » ... وفى أثرهما طارت « زاهية » ! ..

همس « سمارة » ببعض الكلمات فى أذن « روميل » فانطلق كالصاروخ فى الاتجاه الذى حدده « عامر » ، وأنفه الحساس يلاصق الأرض ! أمّا « مرجان » فكان يتبع « روميل » . وعلى ارتفاع بسيط منهما تحلّق « زاهية » ! ! .

ولقد حدث مالم يكن ينتظره « مرزوق » ... ولا « عامر » نفسه .. إنه هجوم الصاعقة الذى شنّه الثلاثى : « روميل » .. و « مرجان » .. و « زاهية » .. ! .

فقد أطبق « روميل » بفكيه على ساق « مرزوق » ... وقفز « مرجان » وأنشب مخالبه فى وجهه . أما « زاهية » فكانت تنقض على أنفه وأذنيه وشفتيه الغليظتين بمنقارها الحاد ! ...

لم يتركه الثلاثة حتى تمزقت ثيابه .. وسالت دماؤه .. وخارت قواه .. وكاد يغمى عليه من هول المفاجأة ! .. وكان « عامر » يقف متفرجاً يضحك منه ملء شدقيه ، ويصيح فيه : إنها الأشباح « يا مرزوق » ! ! .. فالله وحده يعلم ماذا يمكنها أن تفعل بك ! ! ..

° ° °

وفى صباح اليوم التالى ، اجتمع المغامرون مع « محمود » حيث قصّ عليه « عامر » تجربته القاسية مع « مرزوق » ..

محمود : تقول إنك رأيت أضواءً داخل البحر ؟ وفوق التلّ ؟ .. لا غرابة فى أن يسترعى ذلك انتباهك ! .. وانتباه « مرزوق » أيضاً ! ! . . . اسمعوا . . . أنصحكم بأن تبتعدوا عن « مرزوق » ما أمكن ! ! .. فهو يبدو لى أنه رجل خطير ! ! . .

عامر : بل هو رجل مخبول ! . . ويكره الأطفال ...

عالية : ولكن لايمكن أن يمسّنا بضرر .. فهو فى خدمة جدى منذ سنين !

محمود : آه ! وطبعاً ليس من السهل على جدكم استبداله بآخر ! .. ومع ذلك فاحذروه ! ! .. إنه رجل لا يؤمن له جانب !

رجعوا إلى القلعة فوجدوا « مرزوق » يهيئ السيارة للخروج . وما إن لمحهم ، حتى بدت أمارات الشرّ على وجهه المزركش بالخدوش والجروح .

ضاقت عيناه الحمراوان وهو يحدق فيهم مهدّداً فكيف ينسى ما أصابه بالأمس على يد حيواناتهم الشرسة ؟ ! ..

وقال : والآن ... ماذا أضمرتم من شرّ فى أثناء غيابى ؟ ! . .

عالية : نحن لسنا أشراراً ! .. ثم كتمت « عالية » ضحكتها ، وهى تقول له مودعة : نتمنى لك وقتاً طيباً فى « سيدى عبد الرحمن » ! ! ولا تتعجّل العودة ! !

وما كاد « مرزوق » يختفى ، وهو يكبت الحنق والغيظ ، حتى قال « عامر » : الآن حانت فرصتنا الذهبية للذهاب إلى الجزيرة .. أمّا أنت يا « عالية » فستبقين فى القلعة ! . .

عالية : أتقصد أنى لن أشارككم فى هذه المغامرة ؟ ..

عامر : بالعكس .. فوجودك هنا حيوىّ وهام بالنسبة إلينا .. أنت ستتكفّلين « بمرزوق » .. فمن المحتمل أن يرجع قبل عودتنا من الجزيرة ؟

عارف : هذه مهمة لن تقلّ خطورة عن مهمتنا ! ..

عالية : لا تخافوا .. فإنى أعرف كيف أتكفّل به ! ! ..

استقلَّ المغامرون قارب «مرزوق» .. وكانت «عالية» ترقبهم وحيدة من على الشاطئ بعد أن استسلمت إلى قرارهم .. وهى تحدث نفسها : المهمّ أن يصلوا إلى الجزيرة بسلام ! .. أما «مرزوق» فأنا كفيلة به ! ! ..

° ° °

وقبل أن يصل القارب إلى الحلقة الصخريّة ، أنزل «عامر» الشراع ولفّه بمهارة ، حتى لا يندفع القارب وسط الأمواج العاتية ، والصخور البارزة ، فيتحطّم بمن فيه ...

كان «عامر» حريصاً ، وهو يوجّه القارب بالدقّة ، نحو الأكمة المرتفعة التى تقع على جانب من الجزيرة . إنه يأمل أن يجد المنفذ أمامها ... هكذا أوضحته له الخريطة ! .. أما «عارف» و «سمارة» فكانا يجدّفان بإصرار وعزم ..

وأخيراً هلّل «عامر» من الفرح ! .. لقد عثر على المنفذ .. إنه ضيّق جداً .. ولكنه يسمح للقارب بالمرور . وإن كانت هذه المناورة البحريّة تحتاج منهم إلى مهارة وخبرة فى استعمال الدقّة والمجداف ! .. وبالكاد دلفوا من الثغرة إلى بحر

هادئ ساكن .. مياهه شفّافة فيروزية اللون . إنه يذكّرهم بالبحيرة الهادئة الضحلة .. التى خاضوا فيها مغامرتهم الخطيرة فى البحر الأحمر ! ..

وجّهوا القارب إلى شاطئ الجزيرة ، وتعاون ثلاثتهم على سحبه ، حتى رسا بمقدّمته على الرمال . ثم تسلّقوا الأكمة حتى وقفوا على سطحها .. فانكشفت أمامهم معالم الجزيرة ..

شعروا بالرهبة تتملكهم .. ياله من مكان قفر بلقع .. ميّت لا حياة فيه ولا زرع ! حتى طيور البحر ، فزعت لرؤيتهم ، وفرّت إلى السماء ، تاركة وراءها أعشاشها !

وبعد فترة من الصمت ، نطق «عامر» بصوت مرتجف : ياه ! ... إنها أفظع من جزيرة الشيطان التى قرأنا عنها ! ..

عارف : حتى النوارس فزعت لرؤيتنا ! ..

عامر : هذا يعنى أن الناس هجروا الجزيرة منذ أمد بعيد .. وهذا ما جعل النوارس تفزع منا ..

سمارة : أنا لا أميل إلى هذه الجزيرة .. هيّا بنا نعود

أدراجنا إلى « القلعة » . . . إنها حقًّا جزيرة ملعونة ! ! . .

فضحك « عامر » وقال له : أرى أنك صدَّقت القصص الخيالية ، والإشاعات التى يروّجها « مرزوق » ! . . عهدى فيك الشجاعة يا « سمارة » . . هيَّا بنا نتقدم قليلا . . .

ساروا يتقدمهم « عامر » . وبعد حوالى مائة متر ، توقّف ، وصاح فى دهشة : تعالوا انظروا . . نحن أمام كشف هام ! !...

تجمَّع الثلاثة على ما أسماه « عامر » بالكشف الهامّ . . . فإذا به مجرّد حفرة منحوتة فى الصخر . . قطرها يبلغ المترين .

وقفوا أمام الحفرة وهم يتعجبون ! فقد كانت بالغة العمق لا يكشفون قرارها ! ! . .

سمارة : ما هذا ؟ أهى بئر ؟ ! . .

تناول « عارف » حجراً ، وألقى به فى الحفرة . وأخذوا يتصنّتون . . . فلم يصلهم لا صوت طرطشة المياه . . ولا صوت وقع الحجر على القاع الصلب ! !

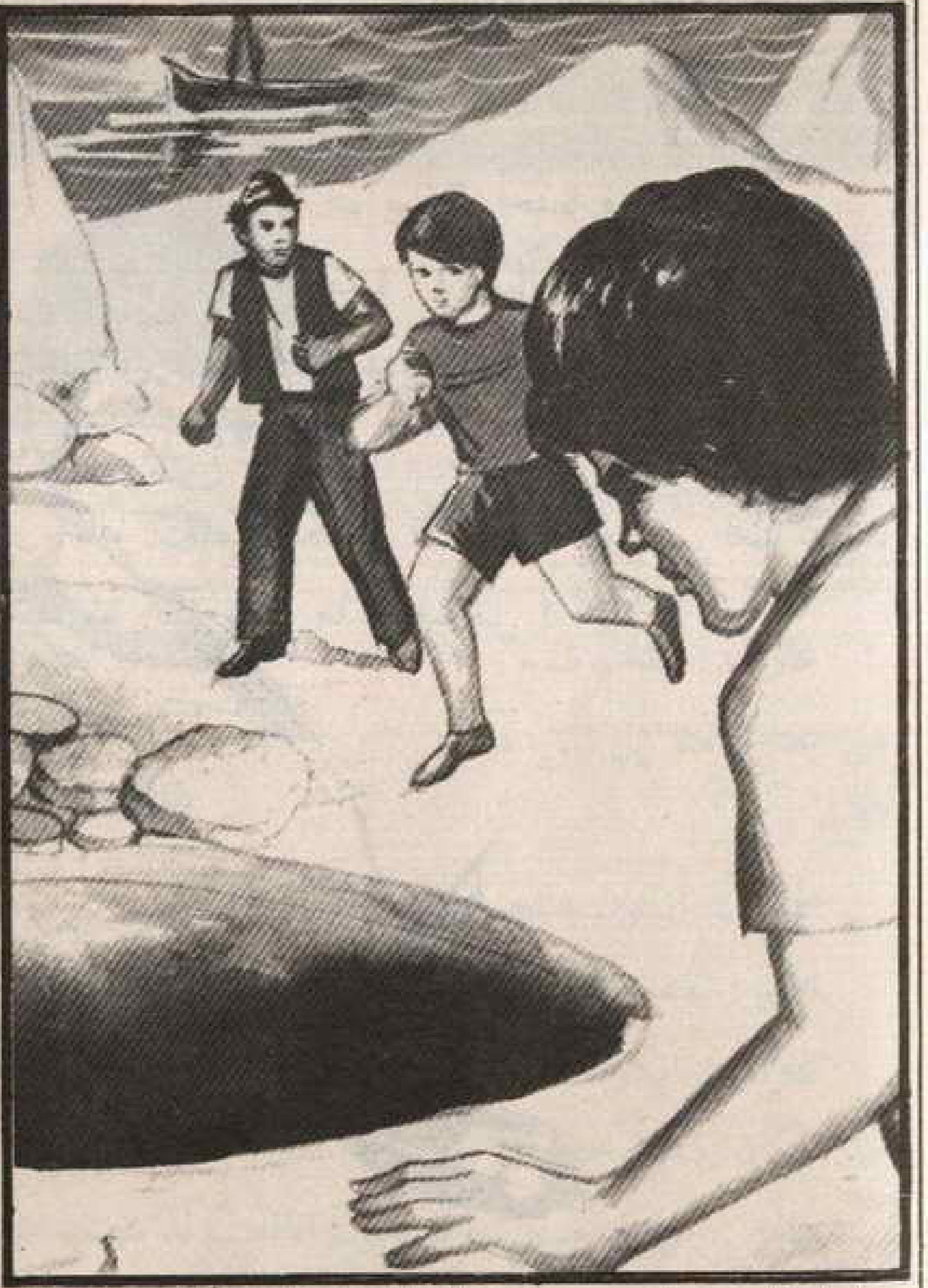

ساروا يتقدمهم « عامر » . . وبعد حوالى مائة متر توقف فجأة فى دهشة وقال : نحن أمام كشف هام

عامر : إمّا أنها ليست بئراً . . أو هى بئر سحيقة العمق ! . .

سمارة : حاذروا أن يسقط أحدنا فيها . ! .

عارف : بئر أو حفرة . . تصل إلى باطن الأرض . . منحوتة فى صخر هذه الجزيرة القفراء المهجورة ؟ ؟ ! . . . ما معنى هذا ؟ . .

عامر : هلمّ نستكشف الأماكن المجاورة . . لعلنا نجد ما يميط لنا اللثام عن هذا الغموض ! . . .

« مرزوق » فى المصيدة !

عارف

ولدهشة المغامرين ، عثروا على حُفر كثيرة مماثلة فى الأماكن المجاورة ! . .

عامر : يستحيل أن تكون هذه الحفر آباراً ! ! . .

عارف : هذا واضح . . من يحتاج هنا إلى كل هذه الآبار . .

سمارة : أتكون مناجم فحم ؟ ! .

عامر : مصر ليس بها فحم يا « سمارة » ! .

عارف : أتكون قد وقعنا على منجم ذهب ؟ . . لو صحَّ هذا لكان كشفاً خطيراً ! . .

عامر : حتى لو صحَّ . . فسيكون الذهب قد نضب منذ عشرات القرون ! . .

عارف : هل نحاول النزول بأية وسيلة ؟

عامر : كيف ؟ لو سقطنا فى القاع لكانت نهايتنا ! . .

عارف : خسارة ! . . هل نقف مكتوفى الأيدى . . ونحن على بُعد خطوات من حلّ هذا اللغز ؟ . .

كان « عامر » يهتمّ بالعثور على أطلال الكوخ الذى كشف عنه بمنظاره . وكانت الرغبة والفضول يلحّان عليه فى العثور عليه . فتابع السير فى عناد وإصرار . . إلى أن لمح الكوخ من بعيد !

وفى الطريق إلى الكوخ ، صادفتهم إحدى الحفر الكبيرة . كانت الحفرة تختلف عن سابقاتها باتساع فوهتها . ولما دقّق المغامرون النظر فيها ، وجدوا قوائم حديدية مثبّتة فى جدرانها الصخرية . . وتهبطّ إلى أن تختفى فى الظلام .

عامر : هذا غريب . . أليس هذا سلّماً ؟

عارف : إنه يشبه سلّم البئر عندنا . . فلا عذر لك بعد الآن ! . . لنهبط به إلى القاع ! ! . .

سمارة : ألم تكن تريد أن تجرّب النزول إلى البئر . لولا

أن منعك « مرزوق » ! ! . .

كان السلّم الحديدى يدعوهم إلى الهبوط إلى القاع . . إنها مغامرة جريئة . . ولكنها تستحق المخاطرة .

نزلوا على السلم بضعة أمتار ، فى بطء واحتراس شديدين . . ولكن الظلام الحالك . . والكشف عن المجهول المخيف الذى ينتظرهم فى القاع . . منعهم فجأة عن الاستمرار فى الهبوط . . فصعدوا فى الحال إلى السطح ! .

عامر : فلنؤجّل هذه المجازفة إلى أن نتزوّد ببطارياتنا . .

عارف : معك حق ! . . يجب أن نستعدّ لها .

واصلوا السير إلى الكوخ المتهدّم ، وهم يتعثّرون فوق الصخور . وهناك كانت تنتظرهم المفاجأة الكبرى . .

كان الكوخ عبارة عن سقيفة من الصفيح المتآكل ، ترتكز على أربعة أعمدة خشبية قديمة متهاوية . . لا حوائط لها ولا أبواب أو نوافذ . ! . .

وقفوا أمامها وهم يكذّبون أنفسهم . . هل ما يرونه تحت هذه المظلّة حقيقة . . أو وهماً هيّأته لهم رهبة المكان ؟ !

كان ما شاهدوه . . تلاً من صفائح المعلّبات الفارغة ! ! !

وبعد أن استرد « عامر » جأشه ، قال : ياله من اكتشاف عجيب ! . . من أين أتت هذه المعلّبات ؟ !

عارف : بعضها قديم علاه الصدأ . . وبعضها جديد .

سمارة : من الذى يفكّر فى المجىء إلى هذه الجزيرة . . ولماذا ؟ . . وأين يقيم ؟ ؟ .

عامر : هذا سرٌّ مبهم . . ومادمنا هنا . فلنجب الجزيرة .

فقاطعه « عارف » قائلا : يجب أن نكون فى منتهى الحذر . . من البداهة أن من يقيم فى هذه الجزيرة . لا يريد أن يكشف عن سرّه ! .

ولكنه بعد البحث الطويل المضنى . . لم يتمكّنوا من الكشف عن سرّ هذه المعلّبات الفارغة ! .

لم يكن أمامهم غير مغادرة الجزيرة . . والعودة إلى « القلعة » بعد أن سرقهم الوقت ! . .

وكان أهم ما يشغل بال « عامر » فى هذه اللحظة هو :

هل عاد « مرزوق » إلى المنزل . . واكتشف غياب قاربه ؟ أو أن « عالية » كانت عند حسن الظن بها ؟ . . إنهم يثقون فى ذكائها وحسن تصرّفها . . إنها لن تخذلهم ! . .

° ° °

أما « عالية » . . فقد طال بها انتظار عودتهم من الجزيرة . . وكانت تدعو الله أن يرجعهم سالمين . . قبل وصول « مرزوق » ! إذ ماذا لو رجع قبلهم . . واكتشف غياب القارب ؟ كيف ستتصرف مع هذا الرجل الفظّ وهى المسالمة الوديعة الرقيقة ؟ ! . .

فى هذه الحالة . . لابد لها من إيقاف « مرزوق » عند حدّه . . مهما كلّفها ذلك من أمر . ! .

ولم تمض عليها ساعة واحدة ، وكانت تجلس فى الشرفة تراقب البحر — حتى سمعت صوت محرك السيارة العالى ! !

ياللمصيبة التى حلّت بهم ! . . لقد عاد « مرزوق » على غير انتظار . وكأنه كان يتوجّس خيفة من هؤلاء المغامرين . . . الذين يلعبون وراء ظهره ! ! . .

نهضت « عالية » تراقبه خفية . فرأته يخرج صندوقاً ثقيلاً ضخماً من السيارة ، ويحمله على كتفه فى سهولة . ثم تلفّت يمنة ويسرة وتوجّه به ناحية المطبخ فى سرعة خاطفة . فتبعته فى خفة عن بُعد . . وانتظرت حتى دخل بالصندوق . .

تسلّلت وراءه وأطلّت برأسها من باب المطبخ . . ولكنه كان قد اختفى ! ! . . أين اختفى هذا المكير بالصندوق ؟ .

رأت باب « الكرار » الذى يقع فى نهاية المطبخ مقفلاً . . ومفتاحه يطلّ من القفل ! ! . . وسمعت صوتاً مدوياً يصدر من داخل « الكرار » . لا شك أنه « مرزوق » ، يلقى بحمله الثقيل على الأرض .

وفى لمح البصر ، قفزت « عالية » برشاقة نحو الباب . . وأغلقته بالمفتاح فى هدوء ، حتى لا يصدر صريراً ! . . ووقفت فى انتظار النتيجة ! !

وبعد أن انتهى « مرزوق » من عمله ، حاول الخروج من الكرار ، فوجد الباب موصداً . فأخذ يدقّ الباب بقبضتيه الغليظتين ، حتى كاد يهشّمه ، وهو يصيح بأعلى صوته : أنا

هنا يا « سعدية » ! افتحى الباب . .

ولكن « سعدية » كانت فى زيارة لأهلها بعيداً عن المنزل !

* * *

كان أول سؤال وجهه المغامرون إلى « عالية » عندما استقبلتهم على الشاطئ : هل رجع « مرزوق » ؟

عالية : منذ أربع ساعات ! !

وعندما بدا الاضطراب واضحاً على وجوههم ، ابتسمت « عالية » وقالت : ولكنى كنت له بالمرصاد ! .

عامر : ماذا فعل ؟ وأين هو الآن ؟

عالية : له أربع ساعات وهو يدقّ على الباب ! . . لقد حبسته فى « الكرار » ! !

اندهش المغامرون لفعلة « عالية » الجريئة ، وتساءل « عامر » : وماذا سنصنع به الآن ؟ إنه لن يسامحنا !

عالية : المسألة بسيطة للغاية ! . . لابد أن الإرهاق أصابه فنام . . سأذهب بنفسى وأدير المفتاح فى الباب . .

واخرج بسرعة . . وعليه بعد ذلك أن يكتشف بنفسه أن الباب مفتوح ، ويغادر « الكرار » عندما يحلو له . أما نحن فسنكون نائمين عندئذ لا شأن لنا بما حدث له ! ! وأنتم . . هل نزلتم إلى الجزيرة ؟

قصَّ عليها « عامر » ما حدث لهم بالتفصيل . وزاد على ذلك قوله : سنعاود الكرّة ونذهب إلى الجزيرة ثانية . . لابد أن نعرف إلى أين تقودنا هذه الآبار . . أو المناجم . . ! ! بل يجب أن نكشف حقيقتها .

عالية : أتظن أن جدّنا يعلم عنها شيئاً ؟

عامر : أعتقد أنه يعرف الكثير . .

عالية : آه لو حصلنا على الخريطة التفصيلية .

عامر : ولكنه لم يتمكن للأسف من العثور عليها .

عارف : ليتنا نعثر عليها ! . . سوف تكشف لنا عن أشياء طريفة وهامة .

• • •

هل الجزيرة مأهولة ؟ !

وفى اليوم التالى ، نزل المغامرون إلى الفناء ، ليجدوا « مرزوق » يسحب الماء من البئر ، لم يُعرهم التفاتاً ، متعمّداً ألاّ يقع نظره عليهم ! وكأن شيئاً خطيراً لم يقع له بالأمس ! . .

همست « عالية » : « مرزوق » يتعمّد تجاهلنا ! . .

سمارة : غريب ! . . هذه ليست عادته . .

عامر : لو علم أننا حبسناه ، لكان له معنا شأن آخر ! . .

سمارة : لندعه فى حيرته . . يموت بغيظه وكمده . .

عارف : ربما كان لايريد أن يكشف نفسه . وأن يخفى عنا أنه حمل صندوقاً إلى الكرار ! !

عالية : هذا الكرار الذى يحتفظ بمفتاحه معه ! !

عامر : هذا جائز . . ولكن مالنا وماله . . فلندعه لشأنه . . المهم الآن . . ماهى خطوتنا القادمة ؟ . .

عارف : أولاً . . هل سنطلع « محمود » على مغامرتنا ؟

سمارة : ربما غضب منّا . . لأننا لم نحتفظ بوعدنا له . . وذهبنا وحدنا إلى الجزيرة . .

عالية : ولماذا يغضب ؟ إننا لم نذهب فى قاربه ! ! . .

عامر : نحن أحرار فى الذهاب إلى الجزيرة وقتما نشاء . . مادمنا وجدنا الوسيلة إلى ذلك !

تنبهوا على صوت جدّهم وهو ينادى على « سعدية » : ياسعدية أين زجاجة الحبر ؟ . . أين أخفيتها ؟ ! . .

أسرعت عالية إلى المكتبة متطوّعة للبحث له عن الزجاجة . ولما عثرت عليها ، ملأت له المحبرة ، وتهيأت للخروج . ولكنها ما كادت تخطو خطوة ، حتى لمحت ببصرها المدقّق خريطة ملقاة على مائدة صغيرة !

ألقت عليها نظرة عابرة ، ومالبثت أن قالت : هذه هى الخريطة التفصيلية التى حدثتنا عنها ياجدّى ! . . هل صحيح

أن بهذه الجزيرة آباراً ؟ . . أوهى مناجم ؟ ! . .

أجابها الجدّ فى دهشة : صحيح كان بها مناجم . . مناجم غنية جداً بخام الذهب ! . . ولكنها استُنفذت منذ قرون طويلة ! . .

قال هذا والتفت إلى عمله . . ونسى ماحوله ! . .

انكبّت « عالية » على الخريطة ، ولدهشتها المفرطة ، وجدت أنها تشير إلى مكان الآبار الغائرة . .

التقطت الخريطة ، وتسلّلت بها خارج المكتبة فى هدوء ! كم سيسعد بها عامر . . وكم سيهمه الاطلاع عليها !

وما كاد « عامر » يرى الخريطة ، حتى تعلقت عيناه بها ، وفغر فاه ، وهو لايصدق نفسه . وقال وهو يعانق « عالية » من فرحته : ياله من اكتشاف خطير ! هذا هو المنفذ إلى الجزيرة كما كان . . لم يتغيرّ حتى هذه اللحظة ! . .

عالية : كان القدماء ينفذون منه بقواربهم إلى الجزيرة . . يحملون الطعام للعمال . . ويرجعون إلى الشاطئ محمّلين بالذهب ! ! . . جدّى يقول إنها كانت مناجم

ذهب ! ! . . ولو أنها فارغة الآن ! ! . .

سمارة : انظرى يا « عالية » . . وهذه هى البئر الواسعة ، التى اكتشفنا الصفائح الفارغة بجوارها ! . .

عارف : وانظروا إلى هذه الممرّات والدهاليز ! . . إنها توضّح المنجم من الداخل بالتفصيل ! . .

عامر : وهذا القسم من المنجم . . أليس غريباً أنه يتوغّل تحت قاع البحر ! ! . .

عالية : مارأيكم أن ننزل إلى هذا المنجم ؟ قد نعثر فيه على « عرق » من الذهب الخالص . . سها عنه الفراعنة ! ! !

عامر : لن نجد به شيئاً ! . . لاأحد يهجر منجماً إلاّإذا نضب تماماً . . إنه مهمل منذ آلاف السنين ! . .

عالية : أنا لاأحب أن أعمل فى مثل هذا الموقع ! وأنا أسمع طول الوقت هدير البحر فوق رأسى ! ! . .

عامر : لابد لنا من الذهاب إلى الجزيرة . . مهما تكن الظروف ! . . أتعرفون لماذا ؟ . . لأنى أعتقد أن هناك بعض

الأشخاص يعملون حاليًا داخل المنجم ! !

عارف : وما الذى يدعوك إلى هذا التفكير ؟

عامر : المعلّبات الفارغة ! . . من الذى يتناول طعامه هناك ! إننا لم نر أحداً . . فلابد أنهم داخل المنجم . . هذا هو حلّ اللغز ! . .

كان القرار بالنزول إلى المنجم صعباً . . يحتاج منهم إلى تفكير وروية . فالنزول سهل . . أما الخروج . . ! ! . . فشتان مابين الدخول إلى عرين الأسد . . وبين الخروج منه.

عالية : أنا لاأحبذ أن نستكشف هذا المنجم بأنفسنا . . لنذهب إلى « محمود » . ونخبره بكل شىء ! ! . .

عامر : لا . . لا . . لن نخبر « محمود » بشىء !

عالية : ولِمَ لا ؟ ! . .

عامر : إنى أرتاب فى أن من يعمل بهذا المنجم ، إذا وجد ، هو صديق أوأصدقاء لمحمود ! ! وأن « محمود » يرابط هنا قريباً منهم ، ليوصل إليهم الطعام فى قاربه ! . . وهذا طبعاً سرّ يريد محمود أن يحتفظ به لنفسه ! . .

سمارة : أظن أنك تبالغ يا « عامر » ! . . ولماذا لايكون محمود بريئاً ، أتى هنا لقضاء عطلته السنوية ؟ ! . .

عامر : فى هذا الخصّ المهدّم ! ! فهو يجهل حتى صيد السمك ! ! . . ولماذا يخفى قاربه ؟ ! ! . .

عالية : ربما كان عامر مصيبا فى ظنّه ! . . محمود لم يخبرنا حتى الآن عن اسمه الحقيق بالكامل . . أومهنته ! . .

عارف : ولماذا لانفاتحه صراحة فى هذا الموضوع ؟

عامر : ليس من الحكمة أن نفعل ذلك . . ربما كان لديه من الأسباب الوجيهة مايدعوه إلى ذلك . .

سمارة : وما العمل الآن ؟

عامر : العمل هو أن نذهب إلى المنجم فى قارب مرزوق . . ونتأكد بأنفسنا ! ! . . ولاخوف علينا مادامت معنا الخريطة ، تهدينا داخل الممرات والدهاليز . .

ولكن لم يتمكن المغامرون من الذهاب إلى الجزيرة لبضعة أيام . إذ كان مرزوق يلازم القلعة نهاراً . . ويخرج بقاربه إلى البحر ليلاً ! !

وكانت عالية تسأله : إذا كنت تخرج إلى الصيد ليلاً . . فلماذا لاتأخذنا معك ؟

فيجيبها باقتضاب : أنتم تضايقوننى ! ! . .

كانوا لايثقون فى قوله أول الأمر . . ولكن من الغريب أنه كان يعود من رحلاته الليلية محملا بالأسماك ! ! . .

وفى صبيحة أحد الأيام ، قالت لهم « سعدية » : مرزوق طلب اليوم إجازة من الدكتور . . فهل لكم أن تساعدونى فى بعض الواجبات المنزلية ؟ ! . .

وكان أهم هذه الواجبات هو سحب الماء من البئر ، وهو العمل الشاق الذى لاتقوى عليه « سعدية » ! . .

التف المغامرون حول البئر . . ينظرون إلى قاعها ، « وعامر » يشجعهم على سحب الجردل الثقيل من أعماقها السحيقة ! !

عامر : إنها تماثل تماماً بئر المنجم فى الجزيرة ، أليس كذلك ؟ . . حتى سلّمها الحديدى هو هو ! . .

عالية : إن من حفر هذه البئر . . حفر المناجم ! ! . .

عامر : ألاتذكرون قول « مرزوق » إن البئر تغوص إلى ماتحت منسوب قاع البحر . . حتى تصل إلى المياه العذبة ؟

عارف : وألا تلاحظون كذلك أن بعض ممرات ودهاليز المنجم محفورة كذلك تحت قاع البحر ! !

سمارة : وماالعلاقة بين هذا وذاك ؟ ! . .

عالية : قد تكون هناك علاقة ياسمارة . .

* * *

كانت « عالية » أول من وضع قدمه من المغامرين على أرض الجزيرة الصخرية ، وهى تكرّر القول : أنا مازلت عند رأيى ! . . هذه المغامرة غير مضمونة العواقب ! . . كان يجب علينا أن نستشير جدنا . .

توجهوا رأساً إلى البئر الواسعة ، المجاورة للمظلة الصفيحية المتهدمة . صدرت صيحة مكتومة من « عالية » ، وهى تطل برأسها إلى أعماق البئر ، وقالت : أهذا هو المدخل ؟ . . إنه يُشعر بالرهبة ! .

عارف : نعم . . ولكنه الوحيد الذى سلّمه فى حالة

جيدة . . ومأمون ! . .

عامر : لاتصيحوا هكذا . . فالصوت يتضخم . . ويسير بسرعة البرق ، حتى يصل إلى أعماق المنجم ! . .

فهمست « عالية » بصوت خافت : وأين كوم الصفائح الفارغة الذى تتحدثون عنه ؟ . .

أشار لها « عامر » على المظلة المجاورة ، فذهبت إليها ، لتتأكد بنفسها من وجود تلك الصفائح .

وإذا بها تصيح عليهم : أين هى ؟ المكان نظيف . . هذا مستحيل . . لقد شاهدوا الكوم بأعينهم ! من حملها وأزالها ؟ ! . . إنها ليست الأشباح بطبيعة الحال ! ! ألايدلّ اختفاء هذا الكوم على أن الجزيرة مأهولة ؟ أو على الأقل . . أن هناك من وفد على هذا المكان . . منذ زيارتهم الأخيرة للجزيرة ، من أيام قليلة ماضية ! !

حقاً هذا أمر غامض مثير ، يدعو إلى العجب والتساؤل ! . .

* * *

سمارة

تطلّعت « عالية » حولها فى خوف . وكأنها تتوقع أن تفاجأ بمن يخرج لها من بين الصخور ! . . وقالت : أنا لاأستريح إلى هذا المكان !

عامر : ممّ تخافين يا « عالية » ؟ إذا كان هناك أشخاص ، فهم داخل المنجم.. وليس هنا ! !..

ولكن ماالعمل ؟ لقد قرر الجميع النزول . . فهل ستبقى هى وحيدة فى هذا المكان المخيف . . طبعاً لا . .

وضعوا الخريطة أمامهم على صخرة . . وأخذوا فى تفحصها بدقة وعناية . ثم قال « عامر » : توضّح الخريطة أن هذه البئر تقود إلى شبكة من الممرات والدهاليز .

ثم وضع أصبعه على ممرّ واسع ، وقال : وهذا ممرّ

رئيسى . . يؤدى إلى جزء من المنجم يقع تحت قاع البحر مباشرة ! . . سنسلك هذا الطريق ! . .

عالية : لايا « عامر » ! . . لاأريد أن أسير تحت قاع البحر ! . . ولكن الثلاثة الآخرين وافقوه . . فأصبح الأمر منتهياً ! . .

وكانت « زاهية » هى الوحيدة من بين حيواناتهم الأليفة ، التى رأى المغامرون أن يصطحبوها معهم . . فهى خفيفة الحمل ، سريعة البديهة والتصرف فى الأزمات . وكم أنقذت حياتهم فى الكثير من المواقف الدقيقة الحرجة ! ! . .

وقبل أن يبدءوا النزول ، حملها « سمارة » على كتفه ، وهمس لها : اسمعى يا « زاهية » . . الكلام والصياح ممنوعان . . وإلّا تعرضنا للخطر ! . .

وقال لهم « عامر » مطمئناً : ماذا يمكن أن يحدث لنا . . لاشىء . . حتى لو اكتُشفنا ! . . يمكننا أن نتعهد لهم بأننا لن نتكلم . وإذا كانوا من أعوان « محمود » . . فسنقول لهم إننا أصدقاء له ! . .

مضت عليهم نصف ساعة فى الهبوط البطىء على السلّم الحديدى ، تنير لهم بطارياتهم الطريق ، وهم مازالوا معلّقين بين السماء والأرض . حتى خُيّل إليهم أنهم وصلوا إلى منتصف الطريق فى باطن الأرض ! . .

قالت **عالية** : لقد تعبت . . وكلّت يداى وساقاى . .

عامر : تجلّدى يا « عالية ».. لاأعتقد أننا بعيدون عن تماع . .

وماهى إلّا دقائق ، حتى همس « عامر » : ها قد وصلنا . . إنى أقف الآن على الأرض الصلبة ! . .

وجدوا أنفسهم فى ممرّ واسع ، تبدو جدرانه الصخرية فى لون النحاس على ضوء البطاريات . وهنا يتفرّع من هذا الطريق ، عدة ممرات ودهاليز كثيرة . .

عامر : سنتبع هذا الطريق الرئيسى كما اتفقنا عليه . .

عالية : أدعو الله ألّا يتهدّم السقف على رءوسنا ! . .

عارف : أظن أننا فى أمان . . نسبياً ! . .

سمارة : حتى الآن . . نعم ! ! .

عامر : إننا على بُعد مئات الأمتار تحت سطح الأرض !

عالية : وفى منجم ذهب ! !

عارف : من الغريب أن التهوية جيدة . . ونحن على هذا العمق السحيق ! . .

عامر : هذا أول مايفكّرون فيه عند حفر المناجم . . والآبار الصغيرة التى شاهدناها . . ماهى إلا قنوات للتهوية ! . .

تابعوا السير فى حذر ، وفى صمت تام ، حتى وصلوا إلى دهليز واسع ، كانت آثار أدوات الحفر والبحث عن المعدن ، تبدو واضحة على جدرانه الصخرية ، كما التقطت « عالية » مايشبه رأس مطرقة ، كانت ملقاة فى ركن مظلم . .

وما كاد « عامر » يلمحها ، حتى صاح فى دهشة : هذا جزء من آلة قديمة جداً ، مصنوعة من البرونز . . ربما كان يستعملها قدماء المصريين فى الحفر .

تهلّلت « عالية » من الفرح ، وقالت : سأحتفظ بها . . فهى قطعة أثرية . . وسنسلّمها إلى مصلحة الآثار ! . .

ثم أعقب هذا الاكتشاف ، كشف آخر كان عبارة عن غطاء أخضر لقلم من الحبر الجاف ! !

قالت « عالية » وعيناها تبرقان فى الظلام كعينى القطة : هل تعرفون لمن يخصّ هذا الغطاء ؟ !

سمارة : يخصّ طبعاً أحد العاملين هنا ! ! . .

عالية : لا . . إنه يخصّ « محمود » ! ! لقد رأيته يدوّن به بعض المعلومات فى الخصّ ! . .

عامر : لابد أنه كان فى المنجم ، وسقط منه الغطاء دون أن يشعر ! إذن فنحن على صواب . . . « محمود » هنا لمساعدة أعوانه الذين يعملون فى هذا المنجم ! . . وليس لقضاء إجازته كما يدّعى . .

سمارة : ياله من داهية ! إنه لم يُلمح عن مهمته بكلمة !

عالية : لأنه يظن أننا مازلنا صغاراً ! ! ولكن كم ستصيبه الدهشة . . عندما يعلم أننا كشفنا سرّه ! ! . .

سمارة : هل يا ترى هو معنا الآن فى المنجم ؟

عالية : أين ذكاؤك يا « سمارة » ! كيف وصل هنا . .

ونحن لم نر قاربه على شاطئ الجزيرة ! ! .

عارف : لا خوف علينا الآن . . مادمنا تأكدنا من أن الموجودين هنا . . هم من أصدقاء « محمود » !

وبعد قليل ، انعطف بهم الطريق الرئيسى إلى اليسار وهذا إيذان بأنهم بدءوا السير تحت قاع البحر . إنهم يعلمون ذلك جيداً من الخريطة ! . .

بدأ يصل آذانهم صوت هدير قوىّ . . فوق رءوسهم !

نعم . . كان هذا صوت البحر . . وهو يتحرّك فوق القاع الصخرى . . وقفوا يستمعون إلى هذا الصوت العجيب . إلى أن قالت « عالية » بصوت مبحوح : يا إلهى . . ما هذا الصوت الهادر المخيف . ، أتراه صوت البحر؟ . .

عامر : نعم . . هو كذلك . . والآن إذا لم نتبع هذا الطريق الرئيسى . . سنضيع وسط هذه المتاهات والممرات . . ولن نعثر على طريق الخروج . .

وفجأة . . شاهدوا ضوءاً قوياً يشعّ من بعيد ! كان الضوء يسطع من مكان أشبه بالكهف ! . . فتوقفوا فى

الحال ، وقد تجمّدت أطرافهم من الخوف ! . .

التصقت « عالية » بأخيها « عامر » وهمست فى أذنه : وأخيراً . . اكتشفنا أين يعمل هؤلاء الرجال ! . .

عامر : هيا نتقدم قليلا إلى الأمام . . **لعلنا نراهم** . . ولكن احذروا من أن يرونا . .

وصلوا قرب المكان ، وكان الضوء المنبعث منه يبهر الأبصار . ولكن المكان كان خالياً ، إلا من بعض الصناديق الكبيرة المرصوصة ، والقليل من العدد والأدوات .

عالية : كفى . . هيّا بنا نعود من حيث أتينا ! . .

عامر ؛ لا . . فلنتقدم قليلا إلى الأمام . . **لعلنا** نراهم يعملون فى مكان ما . !

وبينما كان المغامرون يزحفون ببطء إلى الأمام ، وهم يلتصقون بالجدار ، إذا بصخرة تهوى من السقف .

وكانت « زاهية » تقبع على مضض فوق كتف « سمارة » . ولكنها ما إن سمعت دوى الصخرة على الأرض ، حتى جفلت . . وطارت لا تلوى على شىء ! .

خشى « سمارة » أن يفقد « زاهية » فى هذه المتاهة . فتسلّل وراءها ، وهو يصدر لها صفيراً خافتاً ، فى حين تابع المغامرون الثلاثة سيرهم ، على أن يلحق بهم « سمارة » .

فوجئ المغامرون بشخص يصوّب نحوهم ضوء مصباح قوى ! فتراجعوا يحتمون بالحائط . وقد شلّتهم المفاجأة . على حين وقف الرجل وهو يفغر فاه من الدهشة ! .

رفع الرجل مصباحه عالياً ، ليرى ما أمامه بوضوح . ثم التفت خلفه وقال : إلحقنى يا « علوان » ! ! . . تعال انظر معى . . هل أنا فى حلم ؟ !

التمثيلية الرائعة ! !

علوان

جاء « علوان » يتهادى ، فإذا هو رجل طويل عريض . . كثّ الشعر . . قبيح المنظر . . ذو عين واحدة ! . . فوجئ بالمغامرين الثلاثة أمامه ، فكاد يخرّ من طوله . وقال : ماذا أرى يا « رُبْعة » ؟ أطفال ؟ . . أهم أطفال حقيقيون . . أم خيال ؟ ! . .

رُبْعة : بل هم أطفال حقيقيون ! . . ماذا تفعلون هنا ؟ ومن أنتم ؟ . . هل أنتم بمفردكم ؟

عامر : نعم بمفردنا ! . .

ضحك « علوان » ساخراً ، وقال : قولوا كلاماً غير هذا ! لا فائدة من الكذب ! من أتى بكم هنا !

عالية : جئنا بمفردنا فى قارب لنشاهد الجزيرة . .

عارف : ونفذنا من الثغرة ! نحن نعرف موقعها ! . .

عامر : وعثرنا على البئر فنزلنا ! . . لا تخف فنحن لن نبلّغ عنكم . .

علوان : ما شاء الله ! . . ماذا تعنى ؟ وماذا تعلمون عنّا ؟

أسرّ « عامر » فى أذن « عالية » وكانت تمسك به : لا تذكرى شيئاً عن « سمارة » ! . . فقد يتمكن من الفرار ويأتينا بالنجدة !

وإذا « بعلوان » يصيح فيهم بصوت زلزل المنجم : بماذا تسرّ إليها ؟ ! . . اسمع ! . . إذا قلت لنا الحقيقة . . ربما أطلقنا سراحكم ! . . ماذا تعلمون عنا !

كان « عامر » يعمل فكره بسرعة فى الخطر المحدق بهم . فمثل هؤلاء المجرمين لن يتورّعوا عن إيذائهم . . وضربهم . . وسجنهم . . وإماتتهم جوعاً . فقرّر أن يقول شيئاً من الحقيقة التى يعرفها عنهم !

عامر : نحن نعلم مع من تعملون ! ! وهو صديق لنا ! وسوف يغضب منكم إذا أصبتمونا بضرر !

علوان : صحيح ! ! ومن هو هذا الصديق المخلص ؟ !

عامر : هو « محمود » ! !

علوان : «محمود» ! .. ومن هو «محمود» هذا؟ ! .. أنا لم أسمع به فى حياتى ! ! ..

عامر : كيف ؟ .. لابد أنك تعرفه إنه يزوّدكم بالطعام بقاربه « طير البحر» ! .. ويصدر لكم الإشارات الضوئية .. وتردّون عليها من الجزيرة ! !

انزعج « علوان » من هذا الخبر وقال : « محمود » هذا ليس صديقنا ! ! هل أخبركم أنه يعرفنا ؟

عامر : لا .، ولكننا حزّرنا ذلك ! ..

علوان : إذن لم يجانبكم الصواب ! ..

قال هذا وأشار عليهم أن يتبعوه . ثم فتح باباً خشبياً سميكاً ودفعهم فى قسوة وغلظة إلى غرفة صغيرة منحوتة فى الصخر الأصمّ . وقبل أن يغادرهم ، انفرجت شفتاه

الرفيعتان عن ابتسامة ساخرة ، ثم وضع المصباح على مائدة خشبية قديمة ، وقال : ستكونون هنا فى أمان ! لا تخافوا .. فلن نميتكم جوعاً ! ..

وما إن أغلق الباب وراءه بالمفتاح ، حتى قال « عارف » أليس غريباً أن هذين الرجلين لا يعرفان « محمود » ! !

عامر : أنا متأكد أنه يأتى لهم بالطعام ! .

عالية : « محمود » لم يبح لنا عن اسمه الحقيقى ..

عارف : هذا ممكن .. ولذلك فهم لم يتعرفوا عليه ..

عامر : لو عرفنا اسمه الحقيقى .. سيكون كل شىء على ما يرام ! ..

عالية : والآن ما العمل ؟ .. كم هو مريع أن نكون سجناء فى منجم ذهب مهجور .. وتحت قاع البحر ! !

عارف : ماذا يا ترى جرى « لسمارة » ..

عالية : أرجو أن يكون بخير وأن يتمكن من الفرار .. فهو أملنا الوحيد فى النجاة ! .. سوف يأتى لنا بالنجدة ..

* * *

أما « سمارة » فكان فى واد آخر ! . . سار هائماً فى الممرات المتعرجة المتداخلة ، فلم تكن الخريطة معه ، وذلك على هدى صيحات « زاهية » . ولكنه توقّف بعد أن حطّت « زاهية » فجأة على كتفه ، وهى تخفى رأسها تحت جناحها وكأنها تطلب منه الصفح على فعلتها المشينة ! !

أراد الرجوع إلى المغامرين . . ولم يكن يدرى بما حدث لهم ! ولكنهُ ما لبث أن أيقن أنه ضلّ السبيل ! وصار يهيم على وجهه هنا وهناك . . صارخاً بأعلى صوته على المغامرين . . ولكن ما من مجيب . . وكانت « زاهية » تسانده وتصيح « زاهية » مسكينة ! . « زاهية » مسكينة . !

• • •

أما المغامرون الثلاثة فكانوا يشعرون بالغم والكرب ، وهم سجناء الغرفة الضيقة . إلى أن فاجأتهم « عالية » بقولها : لابد لنا من الهروب ! !

عامر : هذا كلام يسهل قوله ! . .

عالية : عندى فكرة بسيطة ! . .

عارف : أتحفينا بها يا « عالية » . .

عالية : نتصنّع الإغماء ! ! . . عندما يعود « علوان » إلينا سيجدنا نتلوّى على الأرض نكاد نختنق ! ! . .

عارف : ولماذا هذه التمثيليّة ؟ ! .

عالية : ندعه يعتقد أن جوّ الحجرة فاسد . . وأننا على وشك الاختناق ! . . وعندما يخرجنا إلى الممرّ لاستنشاق الهواء . . عليك يا « عامر » أن تباغته بالهجوم . . وتحطّم مصباحه . . فيسود الظلام ثم نجرى إلى فتحة المنجم ! ! . .

عامر : وزيادة فى حبْك المسرحية . . سنطفئ مصباحنا . . كأن الهواء الفاسد أطفأه . .

عامر : هذه فكرة جريئة يا « عالية » . هيّا بنا أولا نجرى تجربة على هذه التمثيلية . .

وما إن انتهوا من التجربة ، حتى سمعوا وقع أقدام ، وصوت صرير المفتاح فى الباب السميك . ورأوا « علوان » يقف بالباب هو يحمل لهم الطعام والماء . . وما كاد يرى ما أمامه ، حتى جحظت عيناه ! ! . .

وما إن انتهوا من التجربة . حتى سمعوا وقع أقدام ورأوا « علوان » يقف بالباب

كانت « عالية » تتلوى على الأرض . . و « عامر » ينكبّ على المائدة تخرج منه حشرجة أليمة . أما « عارف » فكان وكأنه فى الرمق الأخير ! ! .

صاح « علوان » : ماذا حدث ؟

عالية : قليل من الهواء . . نحن نختنق . .

أسرع « علوان » فى دفع المغامرين أمامه خارج الحجرة . وكان « عامر » يترنّح فى سيره . . عندما استدار فجأة . . وركل المصباح الذى يحمله « علوان » بقدمه . . فأطاحه من يده ، وسقط بعيداً على الأرض وتهشم ! ! . .

انتهز المغامرون فرصة الظلام الذى حلّ ، وأطلقوا سيقانهم فى الممر الطويل يسابقون الريح . وبعد أن ابتعدوا عن مرأى « علوان » ، أضاء « عامر » بطاريته .

وما هى إلا دقائق معدودات ، حتى كان المغامرون الثلاثة يستنشقون الهواء النقىّ . . خارج المنجم ! !

ارتمت « عالية » على الأرض من الإرهاق ، وقالت : لنسترح قليلا . .

عامر : لا .. سيتبعنا الرجلان حتماً !

عارف : و « سمارة » ! .. هل ستتخلّى عنه ؟ ..

عامر : لاتضيعوا الوقت ! سنرسل له النجدة ..

كان الوقت متأخراً عندما أفاق « علوان » من المفاجأة المريرة .. وبحث عن مصباح جديد .. ونادى على زميله ..

اقتفيا أثر المغامرين الثلاثة .. ولكنهما ما كادا يصلان إلى منتصف الطريق ، حتى سمعا صوتاً يتردّد من ممرّ جانبى ، قائلا : « زاهية » مسكينة ! .. « زاهية » مسكينة ! !

وصوتاً آخر يجيبها : اسكتى يا « زاهية » وإلا قبضوا علينا ...

سمع الرجلان هذا الصوت ، فابتهجا .. ظنًّا منهما أنه صوت المغامرين الثلاثة .

فقال « علوان » وهو يبتسم ابتسامة التشفّى : لقد ضلوا الطريق .. ولن يهتدوا إلى البئر ! وهم الآن يصيحون فى طلب النجدة . لندعهم يموتون جوعاً ! !

رُبعة : لا .. من يدرينا .. لعلهم يتمكنون من الفرار .. هيّا نقبض عليهم وهم مازالوا أحياء ! ! ..

« ف ٤ » يَتصل مع « م ٦ » ! !

محمود

كان أول ما فعله « عامر » عند وصوله إلى « القلعة » هو الاطمئنان على غياب « مرزوق » ! ولما لم يجده ، تنفّس الصعداء ، وقال : الحمد لله .. « مرزوق » لم يصل بعد .. إنه لن يعلم بما حدث .. والآن .. ولا كلمة عن اختفاء « سمارة » ! ..

استقبلتهم « سعدية » والحيرة تعلو وجهها ، وقالت : أين كنتم طول اليوم ؟ كنا قلقين عليكم :

صعدوا بسرعة إلى الحجرة العلوية ، وجلسوا يتدبّرون فى أمرهم ..

قال « **عارف** » : ماذا سنفعل الآن ؟ لابد أن ننقذ

«سمارة» و «زاهية» ..

عامر : لنفكّر فى هدوء ... لا فائدة من الاستعانة «بسعدية» أو جدى ... أو «مرزوق» طبعاً ! ! . . فليس أمامنا الآن سوى «محمود» ! ..

عالية : ألم تقل لنا إنه يحسن بنا ألّا نخبر «محمود» .

عامر : نحن مجبرون الآن ! .. «سمارة» فى خطر .

عارف : سيذهب «محمود» إلى المنجم ... ويخبر أعوانه أن «سمارة» صديق ... فيطلقون سراحه فى الحال ! !

عامر : سأذهب إلى «محمود» ... قبل فوات الأوان !

عالية : إذا لم تذهب أنت ... ذهبت أنا ! ! ..

عامر : لا يا «عالية» ... فالظلام حلّ .. ولن تجدى طريقك بين الصخور على التلّ ...

ركض «عامر» على الشاطئ المظلم فى ضوء بطاريته ، وكان يحدّث نفسه : يالها من مفاجأة تنتظر «محمود» ! سوف يتعجّب لهذا الزائر الذى يطرق بابه ليلاً ! ..

ولكنها كانت مفاجأة غير سارة «لعامر» ! .. لم يكن

«محمود» موجوداً فى الخصّ ! ..

وقف حائراً ، وانتابه اليأس . ماذا يمكن أن يفعله الآن ؟ فآخر ما كان يخطر على باله .. أن يكون «محمود» متغيّباً .

لم يكن أمامه غير انتظار عودة «محمود» . فدخل الخصّ ، وجلس على مقعد واطىء . وماهى إلا برهة وجيزة ، حتى فوجئ بظهور ضوء أحمر ، يشعّ فى ركن من الأركان ! !

ولدهشته البالغة ، أخذ هذا الضوء يختفى ..ثم يظهر من جديد ... ليختفى .. وهكذا استمر لعدة دقائق ! !

ما هذا ؟ أهى إشارات ضوئية ؟ إنه لم يجد لها تفسيراً .

نهض «عامر» وذهب صوب الضوء . فوجده يصدر من لمبة صغيرة بجوار الراديو ! ! .. فتقدم نحوه ، وأدار زرًّا ، فصدحت موسيقى عالية ، ملأت حيّز الخصّ الصغير ! .. ثم أدار زرًّا مجاوراً .. وإذا به يسمع إشارات متقطّعة ! ! إنها إشارات «مورس» ! ..

أدار وجهه ، فلمح فى ضوء البطارية بجانب الراديو ..

سمّاعة تليفونية صغيرة لم ير أصغر منها من قبل ! !

وما كاد يلتقطها ، حتى سمع خشخشة تصدر منها . فوضعها على أذنه ، وإذا به يسمع صوتاً آدمياً يقول :

- « ف ٤ » ينادى ... « ف ٤ » ينادى ! ! !

ارتعدت أوصال « عامر » مما سمع .. ومع ذلك ، تمالك جأشه وردّ على هذا الصوت .

عامر : ألو .. من أنت ؟ من أنت ؟

لابدّ أن « ف ٤ » .. كائناً من كان .. سمع نفس الصوت . فصمت فترة قصيرة ، عاود بعدها حديثه : « ف ٤ » : من هناك ؟ من يتكلّم ؟ !

عامر : اسمى « عامر » ! .. وجئت هنا أبحث عن « محمود » ! ولكنى لم أجده ! ..

« ف ٤ » : ماذا تقول ؟ « محمود » ؟ ! ! ..

عامر : نعم .. « محمود » !

« ف ٤ » : ومتى سيصل ؟

عامر : لا أعرف .. لكن انتظر ! .. أنا أسمع صوتاً فى

الخارج ... أظنه وصل !

شعر « عامر » بالسعادة والفرح ، وهو يسمع صوت صفير « محمود » ، ووقع أقدامه على الصخر ..

وكم كانت دهشة « محمود » عندما رأى « عامر » ، والسمّاعة فى يده ! !

وقبل أن يفتح « محمود » فمه ، بادره « عامر » بقوله : « ف ٤ » يريد أن يحدّثك ! ! ..

مدّ « محمود » يده فى بطء وذهول ، وتناول السماعة منه ، وقال « لعامر » : وهل تكلّمت أنت معه ؟ ! ! .. ولم ينتظر « محمود » إجابة من « عامر » وقال : إلو .. « ف ٤ » ... « م ٦ » يتكلّم ! ! ...

وبعد فترة قصيرة ، قال « محمود » : لا .. لا .. هذا شاب صغير .. يقيم فى هذه الناحية ! ! .

أمّا بعد ذلك فاقتصرت المحادثة ، على مثل هذه التعبيرات : نعم ... طبعاً .. سأخبرك فيما بعد ... شكراً . لا .. لاشىء حتى الآن .. مع السلامة ! ! ...

ثم استدار «محمود» ، ووجّه حديثه إلى «عامر» فى عتاب وغضب شديدين : اسمع .. يجب أن تفهم أنه من الخطأ أن تتدخّل فيما لا يعنيك !! خاصة فى أثناء غيابى ! ..

كانت نبضات قلب «عامر» تدقّ بصوت مسموع .. كالساعة ذات البندول ! .. إذن ماذا لو عرف «محمود» بأنهم كشفوا سرّه كاملاً !!

عامر : أنا آسف .. لم أقصد أن أتدخل فى شئونك ..

محمود : لماذا أتيت فى مثل هذا الوقت المتأخر ؟

صمت «عامر» .. ثم أخرج شيئاً من جيبه ، وفاجأ به «محمود» ، قائلاً : هل هذا يخصّك ؟ ! ...

حدّق «محمود» فيه لحظة ، ثم قال : نعم .. هذا غطاء قلمى الأخضر الجاف ! .. ولكنك لم تأت ليلاً لتعيد لى شيئاً تافهاً لا قيمة له !! .. لماذا أتيت ؟ ! ..

عامر : نرجوك لا تغضب منا ! .. فنحن نعرف سرّك !! نعرف لماذا تقيم هنا ! .. ونعرف لماذا تذهب إلى الجزيرة ! ..

ضاقت عينا «محمود» ، وهو ينظر إلى «عامر» فى دهشة

وغضب ، وصاح فيه : قل لى ماذا تعنى بذلك ؟

عامر : حسناً .. نعرف أنك وأعوانك تحاولون البحث عن الذهب فى المنجم !! .. ونعلم أنك تزوّدهم بالطعام فى «طير البحر» !! ونعلم أنك أعطيتنا أسما وهمياً مختلقاً !!

ومع هذا تأكد أننا لن نشهّر بك !! بالعكس .. نرجو لك حظّاً حسناً فى العثور على الذهب !! ...

اضطر «عامر» أن يقول ذلك حتى ينقذ «سمارة» وينقذ نفسه أيضاً ..

رجع الهدوء إلى «محمود» ، وابتسم إلى «عامر» وقال : إذن فأنتم تعلمون كل شىء !! .. ولكن أخبرنى .. كيف وصلتم إلى الجزيرة .. أرجو ألّا يكون فى «طير البحر» ؟ ! ..

عامر : لا .. أبداً .. ذهبنا فى قارب «مرزوق» ! ونزلنا إلى المنجم ! .. وهناك عثرنا على هذا الغطاء !! .. ولكننا لا نحبّ أصدقاءك الغلاظ القساة ! .. لقد سجنونا ! .. ولما قلنا لهم إننا أصدقاء «محمود» .. ادّعوا أنهم لا يعرفونك !!! ...

عاد «محمود» إلى جدّيته وتجهّمه، وقال فى غضب: أى نوع من الرجال قابلتم فى المنجم؟!..

عامر: اثنان أحدهما يدعى «علوان» والآخر «رُبْعة»!!..

أخرج «محمود» من جيبه مفكرة صغيرة، ودوّن فيها هذه الأسماء. ثم قال: هل يمكنك أن تصفهما لى؟!..

اندهش «عامر» من هذا السؤال، وقال: ولكنك تعرفهما!!.. على كل حال لم أرهما جيّداً.. حيث كانا يصوّبان الضوء الساطع فى وجوهنا. ولكنى متأكد من أن «علوان» أعور ذو عين واحدة!!..

محمود: وهل صادفكم غيرهما؟..

عامر: لا.. ولكننا كنا نسمع أصواتاً.. ولا ندرى أهى أصوات آدميّة.. أم أصوات آلات.. أم صوت البحر فوق رؤوسنا.. لا نعلم تماماً!!..

محمود: والآن قل لى بصراحة.. ماهو السبب الحقيقى فى مجيئك هنا... وفى هذه الساعة المتأخرة؟!...

عامر: جئت لأقول لك.. إنه بالرغم من أننا تمكنّا من الإفلات.. إلّا أننا تركنا وراءنا «سمارة» و«زاهية»!!

قال «محمود» وكأنه أصيب بصدمة قويّة: «سمارة»!! مازال هناك؟ داخل المنجم؟!... هذه مسألة خطيرة جداً.. لماذا لم تخبرنى بذلك من بادئ الأمر؟!!.. إنكم أفسدتم كل شىء بتدخّلكم!!..

ظهر الغضب الشديد على وجه «محمود» وذهب إلى الراديو.. وأدار زرًّا.. ثم أخذ يتحدث بكلمات لم يفقه «عامر» منها شيئاً!..

كان «عامر» يفكّر فى أثناء المحادثة التى يجريها «محمود». لقد اتضح له الآن أن هذا الراديو.. هو عدّة إرسال واستقبال فى نفس الوقت!.. وأن المسألة أصبحت الآن خطيرة وحرجة!.. مع مَنْ يتحدث «محمود» ياترى؟.. أيكون الرأس الكبير الذى يدير عملية البحث داخل المنجم؟؟.. لاشك أنهم اكتشفوا عرقاً ضخماً من الذهب!!.. وأنه يحذّر من اكتشاف أمرهم!!..

كان يجب ألّا يقحم نفسه مع باقى المغامرين فى هذه المخاطرة !! .. وإلّا ماذا يقصد «محمود» بقوله : أفسدتم كل شيء بتدخلكم !!!

وبعد أن أنهى «محمود» المحادثة قال : تعال معى .. سنذهب فى الحال إلى «طير البحر» ! .. ليس أمامنا دقيقة واحدة نضيّعها !! ولكن كانت المفاجأة المذهلة تنتظرهما حيث يرسو القارب ! .. إذ ما كاد «محمود» يرى «طير البحر» ، حتّى صاح صيحة انخلع لها قلب «عامر» .. وصرخ قائلاً : من فعل هذا ؟ ! ...

كان «طير البحر» غارقاً فى الماء حتّى حافّته ! والمجدافان محطمين ... والشراع ممزّقاً !!

• • •

الكمين ..

قال «محمود» بعد أن ذهبت عنه الصدمة : هل تعرف من فعل ذلك ؟ ! ..

سمارة

عامر : طبعاً لا ! ومن تسوّل له نفسه أن يغرق مثل هذا القارب الجميل ؟ ..

محمود : يجب أن نذهب إلى الجزيرة فوراً !

عامر : كيف ؟ سباحة ؟

محمود : بل فى قارب «مرزوق» !! ...

وهناك كانت تنتظرهم المفاجأة الثانية ! .. لم يكن قارب «مرزوق» فى مرساه خلف الصخرة ! لقد اختفى !!

عادا إلى فناء «القلعة» بعد أن اكتشفا غياب القارب . وصل صوتهما وهما يتحدثان فى سكون الليل ، إلى «عارف»

و «عالية» فنزلا إليهما على عجل ، وقالت «عالية» فى لهفة : أين «سمارة» .. هل أنقذتموه ؟

عامر : ليس بعد .. ولكن حطّم أحدهم «طير البحر» ... وقارب «مرزوق» ليس موجوداً ! ..

عارف : ربما خرج «مرزوق» فى إحدى جولاته الليلية لصيد السمك ! ! ! .. ياله من حظّ سيئ ! .. أيعنى هذا أن «سمارة» و «زاهية» فى خطر ...

محمود : للأسف لا يمكن أن نفعل شيئاً هذه الليلة ! سنرى ما يمكن عمله فى الصباح ...

وفى الصباح اجتمع المغامرون مع «محمود» على مائدة الإفطار ، حينما فاجأتهم «عالية» بقولها : «مرزوق» لم يرجع حتى الآن من رحلته البحرية ! ! ..

عارف : الحمد لله . وإلّا تساءل عن سبب وجود «محمود» بيننا !

محمود : أيجب أن نكون حذرين .. فقد يرجع فى أية لحظة ! سنذهب إلى الشاطئ ونتوارى وراء الصخور ...

عالية : وننتظر وصول «مرزوق» ... ونستولى على القارب ... ونذهب إلى الجزيرة .. وننقذ «سمارة» و «زاهية» أليس كذلك !

محمود : هذا هو التفكير الصحيح ...

عارف : وإذا لم يصل «مرزوق» ! ! ...

فابتسم «محمود» وقال فى هدوء : لا تقلقوا ... فليست هذه هى الطريقة الوحيدة لإنقاذ «سمارة» ! !

نزلوا إلى الفناء فى طريقهم إلى الشاطئ . نظر «محمود» إلى البئر ، وقال : ما هذا ؟ أهى بئر ؟ ..

عامر : نعم .. وهى المورد الوحيد للشرب فى هذه الناحية

توجّه «محمود» نحو البئر ، وأطلّ فيها برأسه ، وصاح : ياه ... لم أكن أدرى أنها بهذا العمق .

عارف : إنها أعمق مما تظن ! «مرزوق» قال إنه يصل إلى ما تحت منسوب قاع البحر ! ..

عامر : ومن العجيب أنها تشبه تماماً بئر المنجم .. وكأنّ من قام بحفرهما شخص واحد ! ! ..

عالية : وكان «عامر» يريد أن ينزل فى البئر ..

ولكن «عالية» لم تكمل جملتها . فقد حدث ما أصابهم بالهلع ، وأوشك أن يصيب «عالية» بالإغماء من هول المفاجأة !! .. حتى أنهم فكّروا فى ترك مكانهم ، والابتعاد عن البئر ! ..

سمعوا صدى صراخ مفزع ، يصدر من قائع البئر .. يرنّ ويتضخّم ، وهو يقطع هذه المسافة البعيدة حتى السطح ..

ما هذا الصوت العجيب ؟ أيكون صوت الأشباح ... أم الأرواح الشرّيرة التى قال عنها «مرزوق» ؟ ! .. لا ... إنهم لا يعتقدون فى مثل هذه الخزعبلات والخرافات ! ..

كان الصوت غامضاً .. تتداخل كلماته .. وتضيع فى داخل البئر .. إنه ليس صوتاً آدمياً !! ..

وأخيراً همس لهم «محمود» : فلننتظر قليلاً .. ربما ينجلى لنا هذا السرّ ! ..

ولم تمض عليهم دقيقة واحدة .. حتى انفرجت أسارير «عالية» عن ابتسامة عريضة ، وصاحت فى فرح : ياالها من

داهية !! هذا صوت «زاهية» !! ..

وضحت الآن نبرات الصوت ! كان صوت «زاهية» وهى تصرخ «زاهية» مسكينة ... «زاهية» مسكينة !! ..

ومالبثوا أن سمعوا رفرفة أجنحتها ، وهى تطير فزعة مندفعة إلى خارج البئر . ثم دخلت المكتبة من نافذتها المفتوحة .. لكى تحتمى بالجدّ العجوز !

وعندما فاقوا من المباغتة ، قال «عامر» : من أين جاءت «زاهية» ؟ وأين «سمارة» ؟ ! ..

عارف : ومن أدخلها البئر؟

عالية : «زاهية» لا تتخلّى أبداً عن «سمارة» .

عامر : ولكن «سمارة» فى المنجم ! .. ولو تمكن الآن من الفرار .. لكان يهيم على وجهه بين صخور الجزيرة !! ..

أطلّ «محمود» برأسه داخل البئر ، وصرخ بأعلى صوته : يا «سمارة» !! .. يا «سمارة» !!

ولكنه لم يسمع غير صدى صوته وهو يردّد : يا «سمارة» ! يا «سمارة» ! ...

آه لو تمكنت «زاهية» من الإفصاح لهم عن مكانه !! لهان الأمر.. وهدأت نفوسهم..

عامر: سأنزل إلى القاع.. ولو كلفنى ذلك حياتى !

عارف: وما الذى يأتى «بسمارة» إلى قاع البئر؟ !..

عالية: الذى أتى «بزاهية».. يأتى «بسمارة» !!..

وما إن بدأ «عامر» فى وضع قدمه على أولى درجات السلّم، حتى حدث ما وفّر عليه مئونة اجتياز هذه التجربة الخطيرة !.. لقد سمعوا صوت «سمارة» يأتيهم من داخل البئر، أين أنت يا «زاهية»؟.. يا «عامر» !... يا «عارف» !... يا «عالية»... الحقونى !!...

• • •

ما إن خرج «سمارة» من البئر، وتلقّفه المغامرون، حتى خرّ مغشياً عليه. نظروا إليه وهم غير مصدّقين ! أهذا حقاً هو سمارة؟ !.. ماذا حدث للمسكين؟ !...

كان منظره مخيفاً تقشعرّ منه الأبدان ! كان مبتلاً من رأسه إلى أخمص قدميه، ممزّق الثياب يكاد يكون عارياً،

والدماء تسيل بغزارة من يديه وقدميه الحافيتين !..

دخلوا به إلى المنزل، ووضعوه على سرير بعد أن أفاق. وضمّدوا له جراحه... وأبدلوا ملابسه.

سأله **محمود**: ماذا حدث يا «سمارة»؟ !..

سمارة: ذهبت وراء «زاهية» أبحث عنها كما تعلمون.. حتى وجدتها ولكنى ضللت الطريق.. ولم أتمكن من الرجوع إليكم... ثم سمعت أصواتاً آدمية تصيح: أين ذهب هؤلاء الشياطين !.. يجب القضاء عليهم... لو هربوا لهلكنا.. !.. فأطفأت بطاريتى... وتواريت وراء منعطف...

محمود: هل رأيتهم؟.. وكم يبلغ عددهم؟

سمارة: نعم.. وهم لا يقلّون عن عشرة أشخاص !

عامر: عشرة !!... هل أنت متأكد...

سمارة: أنا متأكد.. ليتكم كنتم معى..

عالية: ماذا؟ هل تغلّبت عليهم بمفردك !!...

سمارة: لا.. لم أحتكّ بهم !! إنما... «مرزوق» !!

كان معهم .. يصدر لهم الأوامر والتعليمات !! ...

عامر : «مرزوق» !! .. هل رأيته بعينيك ؟

سمارة : نعم .. رأيته بعيني .. وسمعت صوته المزعج ! ..

محمود : وبعد ذلك ... كيف أفلتّ منهم ؟ ..

سمارة : سدوا الطريق أمامى .. فسرتُ ، «وزاهية» لا تفارقنى ، فى الاتجاه العكسى ، وأنا لا أرى للطريق نهاية .. أو أعرف إلى أين يقود . كنت أنزلق وأنكفئ على وجهى ... كانت الطحالب البحرية تفترش الأرض الصخرية .. وكنت أزحف فى بعض الأماكن ، حتى تهرّأت يداى وقدماى ! . والبحر يهدر فوق رأسى كهزيم الرعد !! ..

عالية : مسكين لقد كتب لك عمر جديد ! ..

سمارة : وأخيراً وصلت إلى فتحة ضيقة .. نفذت منها بصعوبة .. لأجد نفسى فى قاع بئر !! .. كنت أظنها إحدى آبار الجزيرة الكثيرة ! .. ولكن الماء كان يبعد عن قدمىَّ مسافة متر واحد ...

عامر : إذن هذه البئر تتصل بالجزيرة عن طريق نفق

طبيعى ... يمرّ تحت قاع البحر !! ..

عالية : «مرزوق» كان يعلم بذلك ! .. ولذلك كان يمنعك بعنف من النزول .. لئلاَّ نكشف سرّه !! ..

° ° °

انتصف الليل ، ومازال المغامرون يستمعون إلى تجربة «سمارة» المريرة !

ولكنهم تنبهوا فجأة على صوت ضجيج داخل الفناء . فتركهم «محمود» إلى الخارج .. يتبعه المغامرون كظلّه ..

فوجئوا برؤية عدد كبير من الجنود ، يحملون مدافعهم الرشاشة ! ثم تقدم أحدهم من «محمود» وأدى له التحية العسكرية !! .. وقال : تمام يا افندم !! ..

فأصدر له «محمود» بعض الأوامر ، فى سرعة واقتضاب : ليذهب أحد الزوارق إلى الجزيرة فى الحال ... وانتظروا على رأس مدخل المنجم بمدافعكم الرشاشة ... وعليكم تنفيذ الخطة الموضوعة بحذافيرها ... أما الزورق الثانى فينتظر هنا على الشاطئ .. واترك لى أربعة من الجنود

الأشداء ... يقفون هنا على رأس البئر !

أدى له الجندى التحية ، وقال : حاضر يا افندم ! ...

وما كاد الجندى ينصرف ، حتى نظر «محمود» إلى المغامرين .. الذين انخلعت قلوبهم من رؤية الجنود المدججين بالسلاح ، وقال : أخيراً توصلنا إلى حلّ اللغز ... الذى حارت فيه الحكومة وقوات الأمن منذ خمس سنوات ...

عامر : إذن فأنت ضابط فى المخابرات .. كنت أشك فى ذلك حتى تأكدت عندما اكتشفت جهاز اللاسلكى ! ..

عارف : تصور كنا نظن أنك شريك لهؤلاء الرجال .. تستخرجون الذهب من المنجم ..

محمود : هذا المنجم مهجور منذ قرون .. ولكن هؤلاء المجرمين اكتشفوا فيه عرق ذهب خام .. فكانوا يستخرجونه سراً .. ويغرقون به الأسواق . وهذه جريمة يعاقب عليها القانون ! .. وما كان يحيّرنا ، هو الكشف عن الوسيط الذى يذهب إليهم بالطعام ... ويرجع محملاً بالذهب .. ويتصل برئيس العصابة ! ... لم يكن من السهل اكتشافه ... ولكن

الفضل يرجع إليكم فى ذلك

عامر : كنا نشك فى «مرزوق» ... لأنه كان يداوم على الذهاب إلى «سيدى عبد الرحمن» دون مبرّر ... ويرجع محمّلاً بصناديق كبيرة ! ..

عالية : ويضعها خفية فى الكرار الذى حبسته فيه ! ..

عارف : وكان يراقبنا كظلّنا ! . ويرفض أن نذهب معه فى قاربه ! .. أو يأخذنا فى سيارة جدّنا إلى «سيدى عبد الرحمن» !

عالية : وضبطناه بجوار النار المشتعلة .. يرسل الإشارات إلى الجزيرة ! .. وكاد يفتك «بعامر» .. لولا تدخّل «روميل» ، و «مرجان» و «زاهية» !

عامر : ورأيناه بجوار الفندق يحادث شخصاً وجيهاً ... كان يركب سيارة أمريكية فارتبنا فيه ! فرصدنا رقم السيارة !

وهنا أخرج «عامر» مفكرته ، وقال : ها هو ذا الرقم ... قد تستعينون به فى القبض عليه ... نحن نعتقد الآن

أنه زعيم العصابة ! ! ... كما نعتقد أن «مرزوق» هو الذى حطّم «طير البحر»

° ° °

أبحرت القوة فى الزورق الحربى السريع ، الذى يقوده ضباط البحرية المدربون ، كانت القوة تعرف مكان الثغرة ، وأين تقع بئر المنجم . كانت تحمل معها خريطة مفصلة للجزيرة ، رسمها «محمود» على الطبيعة !

تسلّل الجنود ، ورابطوا فى مكان قريب من البئر .. فى انتظار خروج «علوان» وأعوانه ..

أما «علوان» فقد انتشر مع رجاله فى الممرات والدهاليز .. يبحثون عن المغامرين الثلاثة ! .. وعندما أصابهم اليأس ، خرجوا من المنجم للّحاق بهم قبل مغادرتهم الجزيرة . . وبهذا تم القبض عليهم جميعاً . .

أما عن «مرزوق».. فقد ذهب إلى المنجم، بعد أن حطّم «طير البحر» ، لينبّه أفراد العصابة باكتشاف أمرهم . ولما علم منهم بوجود ثلاثة من المغامرين الصغار داخل المنجم . .

رأى أن يسلك الطريق الطويل تحت قاع البحر . والمؤدى إلى «القلعة» . وهو نفس الطريق الذى سلكه «سمارة» !

كان يأمل أن يصل قبلهم . إنهم لن يفلتوا من قبضته هذه المرة ... والويل لهم ! ..

وفى الصباح ، كان المغامرون وحيواناتهم يجلسون فى المكتبة وبجوارهم جلس «محمود» .. وأمامهم الجدّ العجوز على مكتبة ، وسط مجلداته وخرائطه ، وقال : ماذا أفعل بكم ؟ ! . .

انكمش المغامرون فى مقاعدهم فى حين ضحك «محمود» طويلاً ، وقال : أنا معك ياسيدى ! .. إنها مغامرة خطيرة ولكنهم أدّوا بذلك خدمة جليلة للدولة يشكرون عليها !

وهنا نظر «عامر» إلى «محمود» ، وقال فجأة : ولكننا لا نعرف حتى الآن اسمك الحقيقى ؟

محمود : وما أهمية الاسم ؟ ؟ ...

عامر : ستظل دائماً بالنسبة لنا . . «محمود» ! !

« تمت »

مرجان عارف عالية عامر

لغز الجزيرة الملعونة

الجزيرة الملعونة! لماذا هي ملعونة؟!... وهي الجزيرة الصغيرة الصخرية الجرداء المهجورة منذ قرون!! والتي تقع قرب مصيف «سيدي عبد الرحمن» على شاطئ البحر الأبيض المتوسط!

ولماذا راجت عنها الإشاعات الخبيثة، وحيكت حولها الأساطير الغامضة، بأن الأشباح تسكنها وما من أحد دخلها وخرج منها حياً؟!

ومن هو العبد الأسود؟ ومن هو الشخص الغامض؟!..

هذا اللغز المحيّر، كان على المغامرين الثلاثة: «عامر»، و«عارف»... و«عالية»، وبرفقتهم الصديق الوفي «سمارة»، وحيوانتهم اللطيفة الأليفة... أن يكتشفوا أسراره!..

ولكن كان عليهم أولاً أن يخوضوا مغامرة قبل أن تحدث!! فهل نجحوا في تحقيق هذا الهدف؟ هذا ما ستعرفه عندما تقرأ هذا اللغز!

دار المعارف